المسيحيون وثوراتهم



د/ جمال محمد أبو زيد

أ.د/ أنطون يعقوب ميخائيل

المسيحيون وثوارتهم
ضد
الحكم العربي

تأليف

العلامة تقي الدين المقريزى

(٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م)

تحقيق

دكتـــــور

جمال محمد أبو زيد

مراجعة

الأستاذ الدكتور

أنطون يعقوب ميخائيل

اسم الكتـــاب: *المسيحيون وثوراتهم ضد الحكم العربي*

الناشـــــر: *دار ومكتبة الحرية*

ت: ٢٥٧٨١٠٤٩ -٢٥٧٨١٠٤٧

فاكس: ٢٥٧٦٢٧٢٨

٤ش محمد بك عاصم- أول شبرا-

أمام مكتبة المحبة

Email:
alhorriyiea_house@yahoo.com

تأليـــــف: تقي الدين المقريزي

تحقيق وإعداد: دكتور. جمال محمد أبـو زيـد

مراجعــــة: الأستاذ الدكتور: أنطون يعقوب ميخائيل

رقم الإيـداع: ٩٧٨١- ٢٠٠٩

الترقيم الدولي: I.S.B.N ٩٧٧-٦١٠١-٤٩-٦

مُقدِّمة

هذا الكتاب هو صفحة من تاريخ القبط بعنوان "المسيحيون وثوراتهم ضد الحكم العربي" وهو مأخوذ عن كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" لتقي الدين المقريزي. وقد رأينا تحقيقه لصلته بتاريخنا الوطني، ولأهميته كمصدر موثوق به يغطي هذا الموضوع الدقيق الذي تشح فيه المصادر. والمرجو أن يحظى بتقدير القارئ، وأن يفتح الطريق أمامه لتوسيع مجال إطلاعه واكتشاف المزيد من العلوم من خلال البحث والقراءة المستمرة، خاصة كتب التراث، لأن المعرفة سلسلة متصلة لا يستطيع إنسان بمفرده أو من مصادر محدودة أن يلم بها مهما كانت درجة معرفته وعلمه.

ويتميز هذا الكتاب بالذات بمادة قد لا يجد لها القارئ مثيلا في مصدر آخر مما يغري على قراءته رغم الآراء والأفكار التي يطرحها والتي قد يختلف، بداهة، معها. علماً بأننا نرحب بكل فكر أو رأي مهما كان متباينا حيث أن الهدف المشترك هو الحقيقة والرأي الصائب.

دكتور

جمال محمد أبو زيد

الأستاذ الدكتور

أنطون يعقوب ميخائيل

ترجمة المؤلف

ولد تقي الدين المقريزي في القاهرة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م وتوفي بها سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م، ويرجع نسبه إلى آل عبيد الفاطميين. ويذكر لنا المؤرخون أن جده كان أصله من بعلبك بالشام وكان من كبار المحدثين بها. ثم أتي والده "على" إلى القاهرة وولي بها بعض الوظائف القضائية وكتب التوقيع بديوان الإنشاء. وقد نشأ المقريزى بالقاهرة ودرس في الأزهر وتخصص في دراسة الفقه والحديث وعلوم الدين وبرع في الأدب وأجاد النثر. وعين في وظائف الوعظ وقراءة الحديث بالمساجد الجامعة، وولي الحسبة بالقاهرة أكثر من مرة وهى من وظائف القضاء الهامة.

كما ولي الخطابة بجامع عمرو بن العاص وبمدرسة السلطان حسن، والإمامة بجامع الحاكم، وقراءة الحديث بالمدرسة المؤيدية وغيرها، كما تقلب في عدة وظائف قضائية في القاهرة ودمشق. وكان لتقي الدين المقريزي مكانة عند الملك الظاهر برقوق ثم عند ولده الملك الناصر فرج من بعده، كما توثقت صلته بالأمير يشبك الدودار وقتا ونال في عهده جاها ومالا. ثم زهد الوظائف العامة واستقر في القاهرة وتفرغ للكتابة. وللمقريزي مؤلفات عديدة منها "الدرر المضيئة" ويختص بتاريخ الخلفاء حتى نهاية الدولة العباسية و"إمتاع الأسماع في ما للنبي من الحفدة والأتباع" و"الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام"، بالإضافة إلى رسالته في تاريخ النقود وفى الغناء وغيرها، وكتاب "المقفى" وهو خاص بسير الأمراء والكبراء الذين عاشوا في مصر، وكتاب "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة" وهو خاص بتراجم مشاهير عصره، وكتاب "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين

الخلفاء" ويختص بتاريخ الدولة الفاطمية والخلفاء الفاطميين، وغيرها من المؤلفات.

إلا أن أعظم مؤلفاته كتابان الأول هو "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" والذي يمكن القول عنه إنه جامع لتاريخ مصر "القاهرة" ومجتمعاتها وخططها القديمة وشوارعها وأسواقها وآثارها وجوامعها وقصورها ودروبها ومدارسها. بل يمكن القول إنه لم يترك شارعا ولا حيا ولا صرحا أثريا إلا وتناوله بالحديث والشرح. أما الكتاب الثاني الهام فهو كتاب "السلوك في معرفة دول الملوك" ويتناول فيه تاريخ دول المماليك في مصر.

دخول النصارى في طاعة المسلمين وأدائهم الجزية واتخاذهم ذمّة لهم وما كان في ذلك من الحوادث والأنباء.

اعلم أن أرض مصر[1] لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى،[2] وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم: **أحدهما:** أهل الدولة وكلهم روم من جند

---

[1] اسم مصر في العربية واللغات السامية الأخرى مشتق من جذر سامي قديم قد يعني البلد أو البسيطة (الممتدة)، وقد يعني أيضا الحصينة أو المكنونة. الاسم العبري مصرَيم מִצְרַיִם مذكور في التوراة (العهد القديم) على أنه ابن لحام بن نوح وهو الجد الذي ينحدر منه الشعب المصري حسب التوراة (سفر التكوين أصحاح ١٠، ٦) التي يرد فيها اسم "مصرايم" كاسم البلاد المعروفة حاليا كمصر، وكذلك ورد في الإنجيل والقرآن. الاسم الذي عرف به المصريون موطنهم في اللغة المصرية هو كِمت وتعني "الأرض السوداء"، كناية عن أرض وادي النيل السوداء تمييزا لها عن الأرض الحَمراء الصحراوية دِشْرِت، وأصبح الاسم لاحقا في المرحلة القبطية من اللغة كِمي في اللهجة البحيرية وخمي في اللهجة الصعيدية. الأسماء التي تعرف بها في لغات أوربية عديدة مشتقة من اسمها في اللاتينية إجبتوس Aegyptus المشتق بدوره من اليوناني أيجيبتوس Αἴγυπτος، وهو اسم يفسره البعض على أنه مشتق من حط كا بتاح أي محط روح بتاح اسم معبد بتاح في منف، العاصمة القديمة.
دكتور أنطون يعقوب ميخائيل: مصريات ثوابت وأولويات، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٩، ١٠.
جورج بورنز وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٦م ص٤٤. الأنبا غريغوريوس: وثائق للتاريخ والكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط، القاهرة، ج ٧، ص ٨، ٩.

[2] قال سيبويه: أما النصارى فذهب الخليل إلى أنه جمع نصري ونصران كما قالوا ندمان وندامى، ولكنهم حذفوا إحدى اليائين، كما حذفوا من أثفية، وأبدلوا مكانها ألفًا. قال: وأما الذي نوجهه نحن عليه، فإنه جاء على نصران، لأنه قد تكلم به، فكأنك جمعت وقلت: نصارى، كما قلت: ندامَى، فإذا أقيس، والأول مَذْهَبٌ، وإنما كان أقيس، لأنا لم نسمعهم قالوا: نصرى، والتنصر: الدخول في دين النصرانية، ونصره: جعله كذلك. وفي شرح الإنجيل: أن معنى قرية ناصرة: الجديدة والنصرانية: التجدّد، والنصرانيّ المجدّد، وقيل: نسبوا إلى نصران، وهو من أبنية المبالغة ومعناه: أن هذا الدين في غير عصابة صاحبه، فهو دين من ينصره من أتباعه.

صاحب القسطنطينية[٣] ملك الروم، ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية وكانت عدّتهم تزيد على ثلاثمائة ألف روميّ.

والقسم الآخر: عامّة أهل مصر، ويقال لهم القبط[٤] وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي، من الحبشيّ، من النوبيّ، من الإسرائيليّ الأصل، من غيره، وكلهم يعاقبة،[٥] فمنهم: كتاب المملكة، ومنهم التجار والباعة، ومنهم الأساقفة[٦] والقسوس،[٧] ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة والزرع، ومنهم أهل الخدمة والمهنة.[٨]

---

[٣] القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة من ٣٣٠ إلى ٣٩٥ وعاصمة الدولة البيزنطية من ٣٩٥ إلى ١٤٥٣ حين أستولى عليها العثمانيون فدخل محمد الفاتح القسطنطينية، وأطلق عليها (إسلام بول) أو الآستانة و بدخوله صارت المدينة عاصمة السلطنة العثمانية. غير اسمها في عام ١٩٣٠ إلى إسطنبول ضمن إصلاحات أتاتورك القومية.

[٤] الأقباط والمصريون بمعني واحد، فالكلمة لا تدل على الديانة وإنما تدل على الجنسية والأقباط جمع شائع للكلمة الأصلية وهي الصحيحة "قبط" واستعملت كلمة قبط لأول مرة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي للدلالة على سكان مصر المسيحيين.
الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي: وثائق للتاريخ والكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط، القاهرة، ج ٧، ص ٨، ٩
وسليم حسن: موسوعة مصر القديمة في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الأهناسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م، ج١، ص ١٤٠.
Diehl, ch., Byzantium: Greatness and Decline, New Jersy, ١٩٥٤. p ٤٨١.

[٥] اليعاقبة: هم الجماعات المسيحية التي اعتنقت العقيدة المونوفيزية، المنادية بالطبيعة الواحدة في المسيح، والتي دعيت رسمياً بالكنيسة السريانية الأرثوذكسية. ومما ساعد في انتشار هذه الكنية عوامل عدة مجتمعية وسياسية، منها الرغبة في مناهضة السلطة الإمبراطورية والثقافة اليونانية. اتسع تأثير هذه الكنيسة فانضمت إليها سائر الجماعات السريانية في بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، كما أنها أقامت علاقات مع الكنيسة القبطية. في القرن الثامن عشر انضمت جماعات من اليعاقبة إلى سلطة كنيسة روما، وشكلت ما يدعى اليوم بطريركية السريان الكاثوليك.

[٦] كلمة "أسقف" مأخوذة عن الكلمة اليونانية "أبسكوبس" استخدمت في الترجمة السبعينية للدلالة على "مشرفين"، "نظار"، "رقباء"، "وكلاء" (سفر العدد ٤ :١٦، ٣١ :١٤) فيما يختص بالكنيسة. وقد استعملت الكلمة أيضا في اليونانية الكلاسيكية وقد استخدمها هوميروس في الألياذة فيما يختص بالآلهة. وكذلك استخدامها بلوتارك. وفى أثينا كانوا يطلقون هذا اللقب

وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع منـــاكحتهم،[9] ويوجب قتل بعضهم بعضًا ويبلغ عددهم عشرات آلاف، كثيـــرة جـــدًّا، فإنهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها.

على حكام الولايات التي يفتحونها. استخدامها في العهد الجديد: استخدمت الكلمة مرة واحـدة عن المسيح نفسه: "كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلـــى راعـــي نفوســكم وأســقفها" (١بطرس ٢ :٢٥). ولكن الكلمة ترد مرارا في رسائل الرسول بولس مرادفة لكلمة "شـــيخ أو قسيس" (سفر أعمال الرسل ٢٠: ١٧و٢٨، تيطس١: ٥ و٧،١). ولكنه في رسالته إلى فيلبـــي (١ :١) يذكر عبارة "أساقفة وشمامسة " مما يدل على استخدام هذه الألقاب في كنائس الأمـــم، ولا نجد كلمة "شيوخ" إلا في الرسائل الرعوية. وواضح أنه في حياة بولس، لم يكن هناك أدنى تمييز بين الشيوخ والأساقفة. ويقضي النظام الأسقفي بأن يحكم الأساقفة الكنيســـة المســـيحية. والقاعدة في الكنائس الأرثوذكسية في الشرق والكنائس الكاثوليكية والكنائس الإنجيليكانيـــة، أن الذي يقوم بتكريس الأساقفة الآخرين وتعيين الكهنة والشمامسة هو "الأسقف"، والأسقف وحده، كما أن الأسقف –عندهم– يجب أن يتولى وظيفته عن خلافة تاريخيـــة مـــن عصـــر الرسـل وخلفائهم.

[7] قس كلمة سريانية معناها "شيخ" والكلمـــة فـــي الأصـــل اليونـــاني هـــي "برســـبوتروس *(Presbuteros)*"، ومعناها "شيخ"، وقد ترجمت هذه الكلمة إلى "شـــيوخ" أو "مشـــايخ" هـــي إحدى رتب رجال الدين المسيحي، حيث أن القس يكون وظيفته هو الاهتمام بشـــئون الكنيســـة وشعبها من حيث الناحية الروحية والدينية ورعايتهم من كافة الأمور.
الراهب القس ورقة بن نوفل: ديوان الراهب القس ورقة بن نوفل، تحقيق دكتور جمال محمـــد أبو زيد، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ١١.

[8] قال معاوية بن أبي سفيان: وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف: فثلث ناس وثلث يشـــبه النـــاس وثلث لا ناس. فأما الثلث الذين هم الناس: فالعرب والثلث الذين يشـــبهون النـــاس: فـــالموالي والثلث الذين لا ناس: المسالمة يعني القبط.

[9] النكاح في اللغة: هو الضم والجمع يقال " تناكحت الأشجار إذا تمايلت وإنضم بعضها إلـــى بعض فهو الجمع بين الشيئين وله عدة معاني في اللغة منها يطلق على الوطئ قال تعالى (فإن طلّقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) البقرة ٢٣٠ . أي النكاح في الآيـــة بمعنـــى الوطء "المجامعة" ويطلق النكاح على الحلم قال تعالى (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغـــوا النكـــاح فإن ءانستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) النساء٦ ويطلق على العقد "عقد النكاح" فإذا قالوا: نكح فلانه أو بنت فلان أرادوا تزوجها وعقد عليها قال تعالى (وإن خفـــتم الاّ تقســـطوا فـــي اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء ٣ . **تعريف النكاح فـــي الأصطلاح** هو عقد وضعه الشارع ليفيد ملك استمتاع الرجل بالمرأة وحـــل اســـتمتاع المـــرأة

فلما قدم عمرو بن العاص[10] بجيوش المسلمين معه إلى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم، ودفعًا لهم عن بلادهم، فقاتلهم المسلمون، وغلبوهم على الحصن،[11] لطلب القبط من عمرو المصالحة على

بالرجل. فأثر هذا العقد بالنسبة للرجل يفيد الملك الخاص به، فلا يحل لأحد غيره. وأما أثره بالنسبة للمرأة فهو حل الاستمتاع لا الملك الخاص بها وإنما يجوز أن تتعدد الزوجات فيصبح الملك حقاً مشتركاً بينهم أي أن تعدد الأزواج ممنوعاً شرعاً وتعدد الزوجات جائز شرعاً الحكم الشرعي للزواج (أي الدليل) الزواج مشروع في الكتاب والسنة والإجماع أما في الكتاب قال تعالى (وإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) أما في السنة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه.

[10] عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤى بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأمه النابغة بنت خزيمة، من عنزة. أصابتها رماح العرب فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم عبد الله بن جدعان ثم العاص بن وائل، وعمرو هو الذي تولى حكم مصر سنة ٦٤١ م حين دخلها العرب. وقد ولد عمرو بن العاص بالطائف، ثم أخذ بيع الأدم (الجلود والطيب)، وبتولي عمرو حكم مصر جمع عمرو بن العاص تلالا من الأموال بل جبالاً ما كانت تخطر على باله، ولما حضرت عمرو الوفاة قال لابنه: أني قد دخلت في أمور ما أدرى ما حجتي عند الله فيها ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال: يا ليته كان بعراً ياليتنى مت قبل هذا. وخلف عمرو بن العاص من العين (الذهب) ثلثمائه ألف دينار وعشرين ألف دينار من الورق (الفضة) ألف درهم، وغله مائتى ألف دينار بمصر وضيعته المعروفة بـ (الرهط) قيمتها عشره آلاف ألف درهم. أبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣١٩ هـ ص ٤٤٧، أبى القاسم الخثعمى السهيلى: الروض الآنف على هامش السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد مؤسسة نبع الفكر العربي مصر، ج ٢ ص ١٠٥. اليعقوبى أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبى، طبعة ليدن ١٨٩٢ م، جـ٢ ص ٢٢١. دكتور أنطون يعقوب ميخائيل: الذات وقضاياها، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ج ٢، ص ٢٣٢.

[11] حصن بابليون، كما أن أسقفية بابليون بشرق النيل كانت من أشهر الأسقفيات كما كانت أسقفية منف من أشهر الأسقفيات في غرب النيل، وفي القرن الرابع الميلادي كان يجلس على كرسي بابلون أساقفة أقباط.
ألفرد بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، إصدار لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤ م، ص ١٢.

الجزية،[١٢] فصالحهم عليها[١٣] وأقرّهم على ما بأيديهم من الأراضي وغيرها، وصاروا معه عوناً للمسلمين على الروم، حتى هزمهم الله تعالى، وأخرجهم من أرض مصر.[١٤]

---

[١٢] أحكام الجزية قال تعالى (قَاتِلوا الذينَ لا يُؤْمنُونَ بالله وَلاَ باليَوْم الآخر وَلاَ يُحَرمونَ مَا حَرمَ الله ورَسُولهُ، وَلاَ يَدينونَ دَينَ الْحق منَ الذينَ أوتوا الْكتَاب حتى يعطُوا الجزيَةَ عنْ يَد وهُمْ صَاغرونَ) فالجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً. والمعنى: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم. واختلف في اشتقاقها، فقال القاضي في "الأحكام السلطانية" اسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً، أو جزاءً على أماننا لهم، لأخذها منهم رفقاً. قال صاحب "المغنى" هي مشتقة من جزاه بمعنى قضاه، لقوله تعالى (لاَ تَجْزِى نَفْس عَنْ نفْس شيء فتكون الجزية مثل الفدية. قال شيخنا: والأول أصح، وهذا يرجع إلى أنها عقوبة أو أجرة. وأما قوله: (عن يد) فهو في موضع النصب على الحال: أي يعطوها أذلاء مقهورين: هذا هو الصحيح في الآية. وقالت طائفة: المعنى: من يد إلى يد نقداً غير نسيئة: وقالت فرقة: من يده إلى يد الآخذ، لا باعثاً بها ولا موكلاً في دفعها. وقالت طائفة: معناه عن إنعام منكم عليهم بإقراركم لهم، وبالقبول منهم. والصحيح القول الأول، وعليه الناس. وأبعد كل البعد ولم يصب مراد الله من قال: المعنى: عن يد منهم، أي عن قدرة على أدائها، فلا تؤخذ من عاجز عنها. وهذا الحكم صحيح، وحمل الآية عليه باطل، ولم يفسر به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة، وإنما هو من حذاقة بعض المتأخرين. وقوله تعالى: (وَهُمْ صَاغرونَ) حال أخرى، فالأول حال المسلمين في أخذ الجزية منهم، أن يأخذوها بقهر وعن يَد، والثاني حال الدافع لها أن يدفعها وهو صاغر ذليل. واختلف الناس في تفسير "الصغار" الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية فقال عكرمة: أن يدفعها وهو قائم، ويكون الآخذ جالساً. وقالت طائفة: أن يأتي بها بنفسه ماشياً لا راكباً. ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويجر إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف، ثم تجريده ويمتهن.

[١٣] كتب لهم عمرو كتاب أمان: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبي بريئة. وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك. ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن أبي واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثاً أي كل ثلث جباية ثلث ما عليهم.

وكتب عمرو لبنيامين[15] بطرك اليعاقبة أمانًا في سنة عشرين من الهجرة فسرّه ذلك، وقدم على عمرو، وجلس على كرسيّ بطركيته[16]

---

[14] يقول المؤرخ ابن عبد الحكم (وقال ابن عبد الحكم عن عبيد اللّه بن لهيعة: لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط من راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبيّ وعن هشام بن أبي رقية اللخميّ: أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر: إن من كتمني كنزًا عنده فقدرت عليه قتلته وإنّ قبطيًا من أرض الصعيد يقال له: بطرس ذكر لعمرو: إن عنده كنزًا فأرسل إليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه في السجن وعمرو يسأل عنه: هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا: لا إنما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو إلى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب إلى ذلك الراهب: أن ابعث إليّ بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلّة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها: ما لكمَ تحت الفسقية الكبيرة "فأرسل عمرو إلى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين أردبًا ذهبًا مصريًا مضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فأخرج القبط كنوزهم شفقًا أن يبغي على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس." وذكر المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار الجزء الأول، حدث قطع عمرو بن العاص رؤوس القباط وتعليقها على باب جامعه في الفسطاط فصل: ما عمله المسلمون عند فتح مصر: "وعن هشام بن أبي رقية اللخميّ: أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر: إن من كتمني كنزًا عنده فقدرت عليه قتلته وإنّ قبطيًا من أرض الصعيد يقال له: بطرس ذكر لعمرو: إن عنده كنزًا فأرسل إليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه في السجن وعمرو يسأل عنه: هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا: لا إنما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو إلى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب إلى ذلك الراهب: أن ابعث إليّ بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلّة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها: ما لكمَ تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو إلى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين أردبًا ذهبًا مصريًا مضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فأخرج القبط كنوزهم شفقًا أن يبغي على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس.
علي ياسين: مصر الحضارة ٢٥٠٠ سنة إحتلال، أصول المصريين حكام ومحكومين، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ١٨٩.

[15] البابا بنيامين جلس علي الكرسي المرقسي في الفترة من ٦٢٣ م، حتى ٦٦٢ م، وقد عاصر ثلاث حقبات مختلفة: أولا: الاحتلال الفارسي (٦٢٣-٦٢٨) حيث احتل الفرس مصر بسبب ما بلغته من فوضى وما عانته من استبداد بيزنطي وحرمان المصريين من ممارستهم حقوقهم الوطنية والإنسانية وأيضًا الدينية، فإن كان البطاركة في أثناء الاحتلال قد استراحوا من إقامة بطاركة دخلاء من قبل بيزنطة يضطهدون الكنيسة المصرية، غير أن الفرس خربوا البلاد ونهبوها وحطموا الكنائس والأديرة. ثانيًا: عودة الحكم البيزنطي من جديد (٦٢٨-٦٤٠ م

بعدما غاب عنه ثلاث عشرة سنة، منها في ملك فارس لمصر عشر سنين، وباقيها بعد قدوم هرقل إلى مصر فغلبت اليعاقبة على كنائس[17] مصر. ودياراتها كلها، وانفردوا بها دون الملكية ويذكر علماء الأخبار من النصارى: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[18] ﷺ، لما فتح مدينة

تقريبًا)، كانت فترة مريرة حيث كان كل همّ الإمبراطور هرقل مقاومة الكنيسة وتحطيمها، واضطر البابا بنيامين إلى الهروب ليظل مختفيًا ١٠ سنوات تحت هذا الحكم وثلاث سنوات في الحقبة التالية. ثالثًا: دخول العرب مصر حوالي عام٦٤٠ م حيث سلمها المقوقس، وهو غالبًا اسم مستعار للوالي البيزنطي.

[16] أي على كرسي القديس مرقس مبشر الديار المصرية.

[17] الكنيسة كلمة سريانية معناها مجمع أو اجتماع، وكلمة "كنيسة" في العهد الجديد مترجمة عن الكلمة اليونانية "إكليسيا" ومعناها "جماعة مدعوة لغرض ما" وهي تشير دائماً إلى جماعة ولا تشير أبداً إلى مكان للعبادة، وفي غالبية الحالات تشير إلى جماعة محلية من المؤمنين. قال الأزهري: كنيسة اليهود، جمعها كنائس، وهي معربة أصلها كنشت. وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة. قال العباسِ بن مرداس السلمي:

يدورون بي في ظل كل كنيسةٍ وما كان قومي يبنون الكنائسا

وقال ابن قيس الرقيات: كأنها دمية مصورة في بيعة من كنائسِ الروم. ابن منظور: لسان العرب، كنس. دائرة المعارف الكتابية: كنيسة.

[18] عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب محمد بن عبد الله رسول الإسلام. أمه حنتمة بنت هشام المخزوميه أخت أبي جهل. لقبه الفاروق. وكنيته أبو حفص، وقد لقب بالفاروق لأنه كان يفرق بين الحق والباطل. كان إسلام عمر بن الخطاب في ذي الحجة من السنة السادسة للدعوة، وهو ابن ست وعشرين سنة، وقد أسلم بعد نحو أربعين رجلاً، ودخل "عمر" في الإسلام بالحمية التي كان يحاربه بها من قبل، فكان حريصًا على أن يذيع نبأ إسلامه في قريش كلها، وزادت قريش في حربها وعدائها لمحمد وأصحابه؛ حتى بدأ المسلمون يهاجرون إلى "المدينة" فرارًا بدينهم، وكانوا يهاجرون إليها خفية، فلما أراد عمر الهجرة تقلد سيفه، ومضى إلى الكعبة فطاف بالبيت سبعًا، ثم أتى المقام فصلى، ثم نادى في جموع المشركين: "من أراد أن يثكل أمه أو ييتم ولده أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي". وفي "المدينة" آخى النبي بينه وبين "عتبان بن مالك" وقيل: "معاذ بن عفراء"، وكان لحياته فيها وجه آخر لم يألفه في مكة، وبدأت تظهر جوانب عديدة ونواح جديدة من شخصية "عمر"، وأصبح له دور بارز في الحياة العامة في "المدينة". وعاش عمر يتمنى الشهادة في سبيل الله، فقد صعد المنبر ذات يوم، فخطب قائلاً: إن في جنات عدن قصرًا له خمسمائة باب، على كل باب خمسة آلاف من

القدس، كتب للنصارى أمانًا على أنفسهم وأولادهم، ونسائهم، وأموالهم، وجميع كنائسهم، لا تهدم ولا تسكن وأنه جلس في وسط صحن كنيسة القمامة[١٩] (القيامة)، فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها، بمفرده ثم جلس وقال للبطرك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي وقالوا: هاهنا صلى عمر. وكتب كتابًا يتضمن أنه لا يُصلي أحد من المسلمين على الدرجة إلاّ واحداً، واحداً، ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها، ولا يؤذنون عليها وأنه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدًا، وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر ﷺ من التراب في ثوبه، فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء، وعمر المسجد الأقصى، أمام الصخرة[٢٠] فلما

الحور العين، لا يدخله إلا نبي، ثم التفت إلى قبر رسول الله (وقال: هنيئًا لك يا صاحب القبر، ثم قال: أو صديق، ثم التفت إلى قبر أبي بكر ﷺ، وقال: هنيئًا لك يا أبا بكر، ثم قال: أو شهيد، وأقبل على نفسه يقول: وأني لك الشهادة يا عمر؟! ثم قال: إن الذي أخرجني من مكة إلى المدينة قادر على أن يسوق إليَّ الشهادة. واستجاب الله دعوته، فعندما خرج إلى صلاة الفجر تربص به أبو لؤلؤة المجوسي، وهو في الصلاة وانتظر حتى سجد، ثم طعنه بخنجر كان معه، ثم طعن اثني عشر رجلا مات منهم ستة رجال، ثم طعن المجوسي نفسه فمات. وأوصى الفاروق أن يكمل الصلاة عبد الرحمن بن عوف وبعد الصلاة حمل المسلمون عمرا إلى داره، وقبل أن يموت اختار ستة من الصحابة؛ ليكون أحدهم خليفة على أن لا يمر ثلاثة أيام إلا وقد اختاروا من بينهم خليفة للمسلمين، ثم مات الفاروق، ودفن إلى جانب الصديق أبي بكر.

[١٩] كنيسة القيامة.

[٢٠] بني هذا المسجد في عام ٦٦هـ ٦٨٥ م بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ولقد أشرف على بنائه رجاء بن حيوه الكندي ويزيد بن سلام. وتم رصد ريع خراج مصر على مدار سبع سنوات كاملات لتغطية نفقات هذا المشروع الفريد وتم البناء في ٧٢هـ - ٩٩١ م وفاض من المبالغ المرصودة لإعماره مائة ألف دينار رغب الخليفة أن يعطيها مكافأة تقسم بين رجاء ويزيد مناصفة لجهودهما وإخلاصهما في إتمام هذا المشروع ولكنهما رفضا رفضاً باتاً. ولذلك أمر الخليفة أن تصهر النقود الذهبية لتطلى بها القبة والأبواب فلذلك فاقت هذه القبة حدود الإبداع والجمال بسبب هذا اللون النحاسي المطلي بالذهب. وهذا المسجد تحفة هندسية نادرة لما فيه من نقوش فسيفسائية تزدان بها جدرانه وأعمدته. ولقد سمي مسجد

كانت أيام عبد الملك بن مروان[٢١] أدخل الصخرة في حرم الأقصى، وذلك سنة خمس وستين من الهجرة ثم إن عمر ﷺ أتى بيت لحم[٢٢] وصلى في كنيسته عند الخشبة التي ولد فيها المسيح،[٢٣] وكتب سجلاً بأيدي النصارى أن لا يُصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين إلاّ رجل بعد رجل، ولا يجتمعوا فيه للصلاة، ولا يؤذنون عليه، ولما مات

الصخرة نسبة إلى الصخرة الجرداء التي تتوسط المسجد والتي يعتقد أن النبي ﷺ استعان بها في صعوده إلى السماوات العلا.

[٢١] الخليفة عبد الملك بن مروان ألقى خطبة بعد توليه الحكم قال فيها (... ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم. والله لا يأمرني أحدٌ بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه).

[٢٢] بيت لحم هي مدينة فلسطينية تقع في الضفة الغربية، وهي مهد المسيح، ففيها كنيسة المهد التي أقيمت حيث ولد فيها السيد المسيح. تقع بيت لحم على بعد حوالي ١٠ كم جنوب القدس. وتحوي منطقة بيت لحم بلدات بيت جالا وأرطاس وبيت ساحور. لبيت لحم أهمية عظيمة لدى المسيحيين لكونها مسقط رأس المسيح الناصري. كما أن المناطق المأهولة والضواحي تلاصق مبنى قديماً يؤكد اليهود أنه قبر راحيل. في بيت لحم العديد من الكنائس، ولعل أهمها كنيسة المهد، التي بنيت على يد قسطنطين الأكبر (٣٣٠ م). وذلك فوق كهف أو مغارة، والتي يعتقد أنها الإسطبل الذي ولد فيه المسيح. يعتقد أن هذه الكنيسة هي من أقدم الكنائس الموجودة في العالم. وقد نالت بيت لحم شهرتها العالمية بعد ميلاد المسيح عام ٥ ق.م تقريباً.

[٢٣] ورد اسم السيد ٱلْمَسِيحُ عليه السلام في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ٱلْمَسِيحُ، عِيسَى، ٱبْنِ مَرْيَمُ عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمُ، ٱلْمَسِيحُ ٱبْنِ مَرْيَمُ، ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمُ، وذلك بخلاف لقب كلمة ٱللَّه وروح ٱللَّه (١) ذُكر باسم ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ ثلاث مرات في سورة النساء ١٧١، المائدة ٧٥، التوبة ٣١. (٢) ذُكر باسم ﴿عِيسَى﴾ اثنتى عشرة مرة في سورة البقرة ١٣٦، آل عمران ٥٢، ٥٥-٥٩، ٨٤، النساء ١٦٢، المائدة٤٩، ١٨ الأنعام ٨٥ الأحزاب ٧، الشورى ١٣ الزخرف ٦٣. (٣) ذُكر باسم ﴿عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمُ﴾ عشر مرات في سورة البقرة ٨٧، ٢٥٣، المائدة ١١٢ - ١١٤، ١١٦، مَرْيَمُ ٣٤، الحديد ٢٧ الصف ٦، ١٤. (٤) ذُكر باسم ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنِ مَرْيَمُ﴾ خمس مرات في سورة المائدة ١٧، ٧٥، ٧٨، التوبة ٣٢. (٥) ذُكر باسم ﴿ٱبْنِ مَرْيَمُ﴾ مرتين في سورة المؤمنون ٥١، الزخرف ٥٧. (٦) ذُكر باسم ﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمُ﴾ ثلاث مرات في سورة آل عمران ٤٥، النساء ١٥٦،١٧٠. دكتور جمال محمد أبو زيد، عيسى بن مريم في فكر إخوان الصفا، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ١٩. وأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: النصارى، تحقيق دكتور جمال محمد أبو زيد، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ٨.

البطرك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالإسكندرية في إمـــارة عمرو الثانية قدّم اليعاقبة بعده البابا أغاثو.

البابا أغاثو

أغاثو[٢٤] فأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمســين، وهــو الذي بنى كنيسة مرقص بالإسكندرية، فلم تزل إلى أن هُدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان في أيامه الغلاء مدّة ثلاث ســنين، وكان يهتم بالضعفاء.[٢٥]

البابا إيساك

فأقيم بعده إيساك[٢٦] وكان يعقوبيًا، فأقام سنتين وأحد عشر شــهرًا ومات.

البابا سيمون السرياني

فقدّم اليعاقبة بعده سيمون السريانيّ فأقام سبع سين ونصفًا ومات، وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم، فامتنع مــن ذلك حتى يأذن له السلطان، وأقام غيره، وخــلا بعــد موتــه كرســي الإسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك.

---

[٢٤] "أغاثو" أو "أغاثون" معناها "صالح"؛ نشأ في منطقة مريوط، لهذا عندما اضطر البابا بنيامين (٣٨) إلى الاختفاء بسبب الضيق الذي عاناه من الملكيين تخفى الكاهن أغاثو في زي نجــار، يحمل أدوات النجارة جهرًا، ممارسًا أعمال الكهنوت، يشدّد الشعب على احتمال الضيق. لهذا إذ عاد البابا بنيامين بعد دخول العرب مصر اتخذ الكاهن أغاثو سكرتيرًا خاصًا.

[٢٥] في ولايته وصلت من سخا أخبار أن الأهالي ثاروا على رجال الإدارة ثم أشعلوا النيــران في عدد من رجال الديوان هناك. فاختار الوالي مسلمه (كان شريفا وعادلا) سبعة من حكمــاء الأساقفه ورجاهم أن يذهبوا إلى مدينه سخا لتهدئه الثوار (لم يــذكر المؤرخــون ســبب هــذه الثورة). فذهبوا واقروا الأمن.

[٢٦] ولد إسحق (إيساك) بضاحية رمل الإسكندرية، وإن كان البعض يرجح أنه يقصــد بالرمــل "رملة بنها" بجوار بنها. بعد مرض قصير تنيح في التاسع من هاتور.

أول جزية أخذت من الرهبان

البابا الاسكندروس

ثم قدّم اليعاقبة في سنة إحدى وثمانين الإسكندروس[٢٧] فقام أربعًا وعشرين سنة ونصفًا، وقيل خمسًا وعشرين سنة، ومات سنة ست ومائة ومرّت به شدائد صودر فيها مرّتين،[٢٨] أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار.

وفي أيامه أمّر عبد العزيز بن مروان[٢٩] فأمر بإحصاء الرهبان[٣٠] فأحصوا، وأخذت منهم الجزية عن كلّ راهب دينار، ولما ولي مصر

---

[٢٧] بعد وفاة البابا سيمون لم يتمكن الأساقفة من إقامة خلف له، فخلا الكرسي ثلاث سنوات، بعد ذلك طلب أثناسيوس رئيس ديوان الأمير عبد العزيز من الأمير أن يسمح للأنبا غريغوريوس أسقف القيس أن يتولى شئون الكنيسة، فكتب له أمرًا بذلك وكان الأنبا غريغوريوس إنسانًا تقيًا محبوبًا حتى لم يفكر الكل في سيامة بطريرك لمدة أربع سنوات. وأخيرًا أجمع الرأي علي سيامة ألكسندروس بطريركا، وكان راهبًا بدير الزجاج، ما أن رآه الأمير حتى أحبه. مات الأمير عبد العزيز فحزن عليه جميع المصريين من مسلمين ومسيحيين، إذ عرف بعدالته وحكمته، وجاء من بعده عدة ولاة هم عبد الله وقرة وأسامة وعبيد الله كانت أسماؤهم رمزًا للعنف والقسوة علي الجميع، حيث ضاعفوا الضرائب بصورة صارخة، فلم يسمحوا بدفن ميت دون دفع ضريبة عنه، وكان الكل ساخطًا عليهم، وبلا شك كانت الضرائب أضعافًا مضاعفة علي المسيحيين. إذ تولي عبد الله الولاية وجاء إلي الفسطاط جاء البابا يحييه، فسأل عنه فقيل إنه أبو الأقباط، فقبض عليه وسلمه لأحد حجابه وطلب منه أن يهينه حتى يدفع ثلاثة آلاف دينار. تقدم شماس يدعي جرجس إلي الأمير يسأله: "أيهدف مولاي إلي اعتقال البابا أم إلي الحصول علي المال؟"، وإذ أظهر الأمير رغبته في المال طلب منه أن يخلي سبيل البابا حتى يقدر أن يطوف معه وسط الشعب ويجمع له المال، وبالفعل طاف معه في الوجه البحري حتى جمع المبلغ وسلمه للوالي. هذا وقد بذل عبد الله كل طاقاته لإبطال اللغة القبطية في الدواوين والمدارس ومحاكمة من يستخدمها.

[٢٨] ثوره الأقباط في الشرقية في عصر البابا الكسندروس ٤٣ بدأت هذه الثورة في منطقه الشرقية (أهالي تنوديمى وقربيط وطربيه) في أيام الحسن بن يوسف ومعه آخر لجباية الضرائب.

[٢٩] عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وعند عبد مناف يلتقي نسب عبد العزيز مع نسب النبي، أبوه مروان بن الحكم رابع

عبد الله بن عبد الملك بن مروان[31] اشتدّ على النصارى، واقتدى به قرّة بن شريك أيضًا في ولايته على مصر، وأنزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها وكان عبد اللّه بن الحبحاب[32] متولي الخراج قد زاد على القبط قيراطًا في كلّ دينار.

خلفاء بني أمية أمويون، وابن عم الخليفة عثمان بن عفان مباشرة، ويُعد في الطبقة الأولى من التابعين، عمل رئيساً للديوان في عهد عثمان، ثم أميراً للمدينة في خلافة معاوية أمه هي ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي من بني كلب. وأشهر إخوة عبد العزيز هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي ولي الخلافة بدمشق بين عامي ٦٥ ــ ٨٦ هــ، ومنهم أيضاً بشر بن مروان الذي ولاه الخليفة الاموي على العراق وقضى على ثورة مصعب بن الزبير الذي خرج تابعاً لأخيه عبد الله بن الزبير، ومنهم محمد بن مروان أمير الجزيرة والثغور.

[30] الراهب هو من الرهبة: الذي حمله خوف الله على أن يخلص إليه النية دون الناس، ويجعل زمامه له، وعمله معه، وأنسه به. وقيل: أن الراهب لغة: رَهِبَ، يَرْهَبُ، رَهْبَةً ورُهْبا، ورَهَبا: خاف، رَهِبَ الشيء: خافه تَرَهَّبَ الرَّجُلُ: صار راهبا يخشى الله. والراهب: المتعبد في صومعة، وجمعه: رُهبان، وجمع الراهبة: راهبات، ورواهب. والمصدر: الرهبة، والرهبانية. والرهبنة: اسم من معنى الراهب، أي اتخاذ طريق الرهبان. واصطلاحا: حياة دينية منعزلة عن المجتمع، سماتها: التقشف، والاستغراق في العبادة، وصورتها: حياة الفرد وحده منعزلا عن الناس، أو في جماعة عزلت نفسها عن المجتمع في الصحراء، أو في بناء خاص يطلق عليه: الدير. وتدل الرهبنة في مجال التاريخ الديني والاجتماعي على شكل اجتماعي له الخصائص التالية: مجموعة من الرجال- أو النساء- يعيشون معا في تجمعات صغيرة، داخل مجموعات أكبر، وتتصرف فيما تحت يدها على أساس أنه ملكية شائعة طبقا للتعاليم التقشفية التي التزموا بها، ويلتزمون في جميع تصرفاتهم بما رسمه لهم الحبر الأكبر في معزل عن إخوانهم في العقيدة. ولا يرتبط ظهور الرهبنة بجنس خاص من البشر ولا تتعلق الرهبنة بلغة معينة؛ فهي ظاهرة عامة وُجدَت في كثير من المجتمعات، وتأسست تحت عباءة أديان عدة على درجات متفاوتة، وبصور متعددة.

ابن عربي: أحكام القرآن، القاهرة، بدون تاريخ، ٤٨٥.

[31] عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. ويكنى أبا عمر تولى مصر من قبل أبيه أمير المؤمنين في جمادى الآخرة ٨٦ هــ / يونيو ٧٠٥ م وأقره عليها أخوه الوليد بن عبد الملك عندما تولى إمارة المؤمنين وعزل بعد ثلاث سنين من ولايته في ٩٠ هــ ٧٠٩ /م. وكان عبد الله أول من أمر الدواوين فنسخت بالعربية وكانت تكتب حتى عهده بالقبطية.

[32] عبد اللّه بن الحبحاب هو أول من طبق نظام منع التجول في الإسلام.

فانتقض عليه (عبد اللّه بن الحبحاب) عامّة الحوف الشرقيّ من القبط، فحاربهم المسلمون وقتلوا منهْم عدّة وافرة في سنة سبع ومائة، واشتدّ أيضًا أسامة بن زيد التنوخيّ متولي الخراج على النصارى، وأوقع بهم وأخذ أموالهم ووسم أيدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب، واسم ديره، وتاريخه، فكل من وجده بغير وسم قطع يده، وكتب إلى الأعمال بأن من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنانير، ثم كبس الديارات،[٣٣] وقبض على عدّة من الرهبان بغير وسم فضرب أعناق بعضهم،[٣٤] وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت

---

[٣٣] الدير تعريفاً: بيت يتعبد فيه الرهبان، وقد كثرت هذه الأديرة، ولما ازدهرت الرهبانية كانت الأديرة بمثابة كليات لدراسة العلوم اللاهوتية.

قال محي الدين بن عربي:

وقد صار قلبي قابلا كل صورة ** فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لنيران وكعبة طائف ** وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ** ركائبه فالحب ديني وإيماني

دكتورأنطون يعقوب ميخائيل ودكتورجمال محمد أبو زيد: أنا والآخر، سلسلة الفضائل، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ٤٣.

[٣٤] أول من مارس هذا اللون من العذاب معاوية بن أبي سفيان فإنه لما قتل الإمام علي بن أبي طالب واستولى معاوية على السلطة أخذ معاوية يحاسب أصحاب علي على تصرفاتهم السابقة ويطالبهم بالبراءة من علي فان لم يبرأوا جرد لهم السيف وأعد لهم أكفانهم وحفر لهم قبورهم وقتلهم أمام قبورهم المحفورة وأكفانهم المنشورة.

ولما استتب له الأمر فرّ منه عمرو بن الحمق الخزاعي وكان معه أنصار علي فأذكى عليه العيون والأرصاد واعتقل امرأته وحبسها في سجن من سجون دمشق، ثم أمسك بعمرو فقتله وقطع رأسه وأمر أحد أعوانه بأن يدخل على المرأة في سجنها وأن يضع رأس زوجها في حجرها. وسار من بعده بهذه السيرة هشام بن عبد الملك، إذ أمر برأس الإمام زيد بن علي بن الحسين، فوضع في حجر والدته ريطة بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية. وقابل عامر ابن إسماعيل قائد الجيش العباسي ما صَنع هشام، بأن أمر أن يوضع رأس مروان الحمار آخر الحكام الأمويين في حجر ابنته. ولما قتل المنصور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن قتيل باخمرى بعث برأسه إلى أبيه عبد الله بن الحسن وهو مسجون عنده، فلما وضع الرأس بين

الضرب،[٣٥] ثم هدمت الكنائس، وكسرت الصلبان ومحيت التماثيل، وكسرت الأصنام بأجمعها وكانت كثيرة، في سنة أربع ومائة والخليفة يومئذٍ: يزيد بن عبد الملك[٣٦]، فلما قام هشام بن عبد الملك[٣٧] في الخلافة

يديه قال: أهلا وسهلا يا أبا قاسم، والله، لقد كنت من الذين يوفون بعهد الله إذا عاهدوا، ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ثم تمثل.

فتى كان يحميه من الذل سيفه .. ويكفيه سوءات الأمور اجتنابها

ولما قتل المستعين، أمر المعتز برأسه، فوضع بين يدي جاريته التي كان يتحظاها، فأخذت تصرخ: يا قوم أخذتموني غصبا ثم تجيئوني برأس مولاي فتضعونه بين يدي.

وفي السنة ٣٨ قتل محمد بن أبي بكر الصديق عامل مصر للإمام علي، وهو ابن ٢٨ سنة، قتله معاوية بن حديج، من أصحاب معاوية بن أبي سفيان ووضعه في جيفة حمار، ثم أحرقه فجزعت عليه أخته أم المؤمنين عائشة جزعا شديدا وأخذت عياله إليها ولم تأكل منذ ذلك الوقت شواء حتى ماتت. ابن الأثير، ج ٣، ص ٣٥٧. والعقد الفريد، ج ٣، ص ٢٣٤ وبلاغات النساء ٦٤ والديارات ١٧٩ و ١٨٠ ومروج الذهب ج ٢، ص٢٣٧ وزهر الآداب، ج ١، ص ٧٦.

[٣٥] الضرب والجلد باليد أو السوط أو الهراوة أو المقرعة وهو الكل المعتاد في تعذيب الاعتراف، كما استعمل في التأديب والانتقام السياسي، والضرب باليد غالباً ما يكون صفعاً على القفا والوجنتين ولم يكن الغرض منه الإيلام بقدر الإهانة ويضرب بالهراوة على الكتفين والظهر والأرداف. أما المقرعة فللرأس وهي أشد إيلاماً من اليد والهراوة.

[٣٦] يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي. أبو خالد. ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. كانت أيامه أيام غزوات وحروب، أعظمها حرب الجرّاح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. خرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة فوجه إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك فتغلب عليه وقتله في (العقر) بين واسط وبغداد، قرب بابل. كان من أصحاب المروءات مع إفراط في طلب اللذات، فقد هام حبا بجاريتين، إحداهما تدعى (حبابة) والأخرى تسمى (سلامة) وقد تتيم بحب حبابة ومات بعد موتها بأيام يسيرة، ولا يعلم خليفة مات عشقا غيره. لما تولى الخلافة قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز فأتوه بأربعين شيخا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب لهم ولا عذاب. غير أن بعض المؤرخين، ومنهم ابن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة، يرفضون قبول هذه الروايات التي وضعت في عصر متأخر عن عصرهم، وقد وضع أكثرها محاباة للعباسيين. مات وعمره ٣٤ سنة ومدة حكمه أربع سنوات وبضعة أشهر.

كتب إلى مصر بأن يجري النصارى على عوايدهم، وما بأيديهم من العهد فقدم حنظلة بن صفوان أميرًا على مصر في ولايته الثانية، فتشدّد على النصارى وزاد في الخراج، وأحصى الناس والبهائم، وجعل على كلّ نصرانيّ وسمًا صورة أسد، وتتبعهم، فمن وجده بغير وسم قطع يده.

البابا قسيما

ثم أقام اليعاقبة بعد موت الإسكندروس بطركًا اسمه قسيمًا[٣٨] فأقام خمسة عشر شهرًا ومات.

---

[٣٧] هشام بن عبد الملك كان عاشر خلفاء بني أمية، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه (فرنسا) حيث وقعت معركة بلاط الشهداء. ولد في دمشق. بويع للخلافة بعد وفاة أخيه يزيد. تزايدت في عهده العصبية القبلية بين المضرية واليمانية، واشتعلت فتن وثورات عديدة في أنحاء الدولة: ثورة الخوارج في العراق، والشيعة في الكوفة، والبربر في المغرب؛ وقد قضى عليها جميعاً بحنكته ودهائه. نقل مقر الخلافة من دمشق إلى مدينة الرصافة على نهر الفرات، وذلك خوفاً من وباء الطاعون الذي كان يغزو دمشق بين حين وآخر. اهتم بتنظيم الدواوين، وعمل على رعاية العلم والثقافة، وترجمت في عهده الكثير من المؤلفات. عمل على إصلاح الزراعة في العراق، فجفف المستنقعات وزاد مساحة الأراضي المزروعة. اهتم بالفتوحات، وحقق العديد من الانتصارات على الروم وفي جنوبي بحر الخزر. مات بالرصافة، واعتبرت وفاته نهاية عهد الخلفاء الأمويين الأقوياء.

[٣٨] البابا قزمان الأول. بعد وفاة البابا ألكسندروس الثاني سنة ٧٢٦ م اتجهت الأنظار إلى الناسك قزما (قزمان) أحد رهبان دير القديس مقاريوس الكبير ببرية شيهيت فانتخب بالإجماع، ومن ثَمَّ أقامه الأساقفة في نفس السنة على سدة الكنيسة القبطية. كان من أهل يناموسير، سيم بغير اختياره، إذ كان يميل إلى حياة الوِحدة، كذلك امتلأت نفسه أسى حين علم أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد كتب إلى حيّان بن شريح عامل الخراج في مصر يقول له: "أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم"، وأضاف إلى ذلك الجزية على القرى، فكل قرية عليها مقدار من المال يجب تأديته بغض النظر عمن يموت من أهلها.

البابا تادرس

فقدّموا بعده تادرس[٣٩] في سنة تسع ومائة بعد إحدى عشرة سنة. وفي أيامه أحدثت كنيسة يوقنا بخط الحمراء، ظاهر مدينة مصر، في سنة سبع عشرة ومائة، فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعة أمير مصر بسببها.

[٣٩] في أيامه كان عُبيد الله متوليًا جباية الخراج في مصر، وكان محبًا للمال، عنيفًا للغاية، لكنه نُزع من عمله ليحل الحر بن يوسف مكانه وكان كسابقه مستبدًا، الأمر الذي دفع بعض الأقباط في منطقة الشرقية (أهالي تنوديمى وقربيط وطربية) إلى الثورة ضده علنًا، فأرسل جيشًا وقمع الثورة بعد ثلاثة شهور، غير أن الحر بن يوسف نقل من مصر إلى إسبانيا، وساد الجو شيئًا من الهدوء والسلام. عاد عُبيد الله إلى عمله واستخدم العنف في جمع الأموال من المسلمين كما من الأقباط، غير أنه كان يمارس عنفه مضاعفًا جدا على الأقباط، وإذ لم يفلح استقدم ٥٠٠٠ عربيًا من قبيلة القيس استقروا في مدينة حوف شمال شرقي الفسطاط، وكان هؤلاء كثيري التمرد. ثار المسلمون أيضًا على عُبيد الله بسبب عنفه واستبداده فرفعوا شكواهم إلى الخليفة هشام الذي اتسم بالعدل، فأمر بنقله إلى بلاد البربر بشمال أفريقيا، وعين القاسم ابنه الأكبر واليًا على مصر، فاستقر السلام على ضفاف النيل.

ثورة القبط في الصعيد

البابا ميخائيل

وفي سنة عشرين ومائة قدّم اليعاقبة ميخائيل[٤٠] بطركًا، فأقام ثلاثًا وعشرين سنة ومات. وفي أيامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا العمال في سنة إحدى وعشرين،[٤١] فحوربوا، وقُتل كثير منهم.

ثورة القبط بسمنود ورشيد

ثم خرج بخنس بسمنود وحارب وقُتل في الحرب، وقُتل معه قبط كثير، في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومات ثم خالفت القبط برشيد فبعث

---

[٤٠] كان هذا الأب راهبًا بدير القديس مقاريوس. وقد كان هذا الأب في عهد خلافة مروان آخر خلفاء الدولة الأموية وولاية حفص بن الوليد جرت على المؤمنين في أيامه شدائد عظيمة وهاجر البلاد المصرية عدد كبير من المؤمنين، كما بلغ عدد الذين تركوا المسيحية أربعة وعشرون ألفًا، وبسبب شدة الضيق هرب بعض الأساقفة إلى الأديرة، فعقد البابا مجمعًا قرر فيه ضرورة استمرار الأساقفة في إيبارشياتهم، وحرم من يتجاوز هذا الحكم. لم تستمر فترة الراحة طويلاً إذ حضر مروان إلى مصر ونكث هو وعبد الملك عهدهما مع الأقباط، وأخذا في اضطهادهم بقسوة بربرية. اضطر الأقباط إلى الثورة حتى هزموا جيش مروان، لكن مروان استجمع قواته وقاتلهم بشدة وقبض على البابا السكندري وبطريرك الروم، فدفع الأخير ألف قطعة ذهب بينما لم يكن لدى البابا ذات المبلغ. فثقل رجليه بقطعة من الحديد وألقاه في السجن وابتدأ يعذبه تسعة أيام ثم أحضره وجذبه بيده وطرحه وصار يضربه بقضيب في يده مائتين مرة ثم أمر الوالي بضرب عنقه، لكنه عدل عن ذلك. طلب منه أن ينصح البشامرة الثائرين من الأقباط بالتوقف عن مقاتلته، لكن البشامرة ثاروا بالأكثر. ودخل أبو العباس مصر بجيش زاخر للاستيلاء على الحكم من يد مروان، وكان الأقباط في ضيق شديد فانحازوا إليه وطلبوا مساعدته. عسكر أبو العباس على شاطئ النيل في البر الشرقي تجاه مروان الذي كان مازال قابضًا على البابا وبعض الأساقفة. وأمر الجند أن يهينوا البابا من الجانب الآخر للنيل وينتفوا شعر لحيته كما قاموا بتعذيب الأنبا موسى أمام الأقباط. في اليوم التالي أحضر البابا ومعه الأساقفة ومجموعة من الشعب وتركهم في الشمس عشرة ساعات ثم بدأ في تعذيبهم بقسوة شديدة، حتى كان الأقباط ومعهم المسلمون في البر الشرقي يبكون بمرارة.

[٤١] المقصود: إحدى وعشرين ومائة.

إليهم مروان بن محمد[٤٢] لما قدم مصر وهزمهم، وقبض عبد الملك بن موسى بن نصير أمير مصر على البطرك ميخائيل فاعتقله وألزمه بمال فسار بأساقفته في أعمال مصر، يسأل أهلها فوجدهم في شدائد، فعاد إلى الفسطاط، ودفع إلى عبد الملك ما حصل له فأفرج عنه فنزل به بلاء كبير من مروان، بطش به وبالنصارى وأحرق مصر وغلاتها!!

فيرونيا شهيدة الجمال

وأسر عدّة من النساء المترهبات ببعض الديارات، وراود واحدة منهنّ عن نفسها فاحتالت عليه ودفعته عنها بأن رغبته في دهن معها إذا ادّهن به الإنسان لا يعمل فيه السلاح، وأوثقته بأن مكنته من التجربة في نفسها، فتمت حيلتها عليه، وأخرجت زيتاً أدهنت به، ثم مدّت عنقها فضربها بسيفه أطار رأسها فعلم أنها اختارت الموت على الزنا!![٤٣] وما

---

[٤٢] مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية هو آخر خلفاء بني أمية بالمشرق. تولى الخلافة بعد ابن عمه إبراهيم الذي تخلى عن الخلافة له. يكنى بأبي عبد الله القائم بحق الله، كان يعرف بمروان الحمار وبالجعدي وتسميته بالجعدي نسبة لمؤدبه جعد بن درهم وتسميته بالحمار يقال: «فلان أصبر من حمار في الحروب» ولهذا لقب بالحمار فإنه كان لا يفتر عن محاربة الخوارج وقيل: «سمي بالحمار لأن العرب تسمي كل مائة سنة حماراً فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان هذا بالحمار». قبل توليه الخلافة كان واليا على إقليم أرمينية وأذربيجان وقد أظهر كفاءة وقدرة في إدارة شؤون ولايته، فرد غارات الترك والخزر على حدود ولايته بعد معارك صعبة وخسائر كبيرة. عندما صعد للحكم كانت الدولة الأموية شبه منهارة. بالرغم من قضاء مروان بن محمد على الاضطرابات والثورات التي تلت بداية فترة حكمه، لم يستطع الوقوف في طريق الفتن الأخرى التي عصفت بدولته. هزم في معركة الزاب الحاسمة، وسقطت دولة الأمويين بعدها، وهرب هو واستمر متخفيا حتى عثر عليه في بوصير في مصر وقتل.

[٤٣] فيرونيا شهيدة الجمال كانت تعيش في أحد الأديرة وقد نذرت نفسها للرهبنة، وكانت رائعة الجمال، وذات يوم حدث على الدير الذي كانت تسكنه هجوم شديد من الجيش فى ذلك الوقت ولما رأى القائد جمال فيرونيا الرائع فكر في نفسه أن يأخذها هدية للملك حتى يثنى علية بمنصب أرفع وحاول أخذها بالقوة ولكنها رفضت بشدة وأتتها فكرة رائعة فطلبت من القائد أن يعطيها فرصة لتفكر وإذ بها تقول له أنها موافقة على الذهاب معه؟ بل وأحضرت للقائد هدية؟

زال البطرك والنصارى في الحديد مع مروان إلى أن قُتل ببوصير فأفرج عنهم.[٤٤]

إنها زجاجة زيت سحرى (كما قالت) وقالت للقائد إن من يدهن رقبته بهذا الزيت لا يموت من ضربة سيف مهما كان هذا السيف قوى وقال لها القائد كيف أعرف أن كلامك صحيح قالت فيرونيا أنا سأدهن رقبتي وأنت تضرب بالسيف بكل قوتك وستعرف أن ما أقوله صحيح!!!!! وفعلا ضربها القائد بسيفه وطارت رقبتها.

ومن الأحداث المشابهة التي حدثت في التاريخ العربي عندما قدم خالد بن الوليد البطاح، بث السرايا وأمرهم بإعلان الأذان رمز الإسلام، وأن يأتوه بكل من لم يجب داعي الإسلام، وإن امتنع أن يقتلوه حسب الميزان الأول من وصية أبي بكر. فلما غشيت هذه السرايا قوم مالك بن نويرة تحت الليل، ارتاع القوم فأخذوا السلاح للدفاع عن أنفسهم، فقالوا: إنا المسلمون. قال قوم مالك: ونحن المسلمون، قالوا: فما بال السلاح معكم؟ قال القوم: فما بال السلاح معكم أنتم؟ قالوا: فإن كنتم المسلمين كما تقولون فضعوا السلاح، فوضع قوم مالك السلاح ثم صلى هؤلاء وأولئك، فلما انتهت الصلاة، باغتوهم وكتفوهم وأخذوهم إلى خالد بن الوليد، فسارع أبو عبادة الأنصاري (الحارث بن ربعي أخو بني سلمة) وعبد الله بن عمر بن الخطاب فدافعوا عن مالك وقومه وشهدوا لهم بالإسلام وأداء الصلاة، فلم يلتفت خالد لشهادتهما. وتبريراً لما سيقدم عليه خالد ادعى أن مالك بن نويرة ارتد عن الإسلام بكلام بلغه أنه قاله، فانكر مالك ذلك وقال: أنا على دين الإسلام ما غيرت ولا بدلت – لكن خالد لم يصغ لشهادة أبي قتادة وابن عمر، ولم يلق أذناً لكلام مالك، بل أمر فضربت عنق مالك وأعناق أصحابه. وقبض خالد زوجته ليلى (أم تميم فنزا عليها في الليلة التي قتل فيها زوجها). الطبري تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٢٤ – الإصابة ج ٥ ص٥٦٠ – مختار الأغاني ج ٧ ص ١٠٥ حياة الصحابة للكاندهلوي ج ٢ ص ٤٦٨ نقلاً عن كنز العمال ج ٢ ص ١٢٢.

[٤٤] سجل التاريخ لنا أسماء أشخاص فاضت فيهم القسوة فمارسوا أعمال قتل النساء كالشجاء وحمادة الصفرية أخذ الشجاء فقطع يدها ورجليها ثم قتلها ولم يكتف بقطع الأطراف والقتل فدفعته القسوة إلى صلبهن عاريات وكان يشتمهن عندما يباشر قتلهن فكن يجبنه إجابات جارحة. قال زياد لامرأة عدا فقالت له: كلا والله إن القتل ليزرعنا، فلما هَمَ بقتلها تسترت بثوبها فقال لها: أتتسترين وقد هتك الله سترك واهلك قومك؟ فقالت: إي والله أتستر ولكن الله ابدي عورة أمك على لسانك إذ أقرت بأن أبا سفيان زنى بها ثم قتلت. وولي بعد زياد ولده عبيد الله فكان مثلاً لوالده في القسوة والبغي، فقد اخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أدية، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم أمر أن يصلب على باب داره فصلب، ثم قطع رأسه وبعث بها إلى ابنته فجاءت الابنة وجثة أبيها مطروحة بين يدي ابن زياد، لتأخذها فتدفنها، فقال لها ابن زياد: أنت على دينه؟ فقالت: كيف لا أكون على دينه وما رأيت قط خيرا منه، فأمر بها فقتلت مع أبيها. وكان عبيد الله بن زياد، يتلذذ بتعذيب النساء وقطع إطرافهن بمحضر منه. وقد جيء

قسيما بطريرك الملكية

وأما الملكية: فإن ملك الروم لاون أقام قسيمًا بطرك الملكية بالإسكندرية في سنة سبع ومائة، فمضى ومعه هدية إلى هشام بن عبد الملك، فكتب له بردّ كنائس الملكية إليهم، فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة،[٤٥] وكان الملكية أقاموا سبعًا وسبعين سنة بغير بطرك في مصر، من عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلى خلافة هشام بن عبد الملك، فغلب اليعاقبة في هذه المدّة على جميع كنائس مصر، وأقاموا بها منهم أساقفة وبعث إليهم أهل بلاد النوبة[٤٦] في طلب أساقفة، فبعثوا إليهم من أساقفة اليعاقبة، فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة.

إليه بامرأة فقطع رجلها، وقال لها: كيف ترين؟ فقالت: إن الفكر في هول المطلع لشغلا عن حديدتكم هذه، ثم أمر، فقطعت رجلها الأخرى وجذبت، فوضعت يدها على فرجها، فقال: لتسترينه، فقالت له: لكن سمية أمك لم تكن تستره.

الحيوان للجاحظ ٥/٥٨٩و ٥٩٠ والعقد الفريد ١/٢٢١ و ٢٢٢ وانساب الإشراف ٤/٢/٨٨ و٨٩ وبلاغات النساء ١٣٤.

[٤٥] تعتبر كنيسة البشارة في مدينة الناصرة ثالث أهم مكان مقدس للديانة المسيحية، بعد كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم. وتاريخياً، يعود اسم الكنيسة إلى أحد أهم الأسس في العقيدة المسيحية، وهي تبشير الملاك جبرائيل مريم العذراء بحملها. وقد بنيت الكنيسة فوق بيت مريم العذراء وخطيبها يوسف. تشير الحفريات الأثرية إلى أن أول كنيسة بنيت في الناصرة هي كنيسة البشارة.

[٤٦] النوبة هي منطقة بجنوب مصر و شمال السودان. كان وادي الخوىّ، جنوب الشلال الثالث، عبارة عن حوض قديم للنيل طوله حوالي ١٢٣ كم إلى الشرق من مجرى النيل الحالي. فمنذ الألفية الرابعة ق.م. كان حوضاً زراعياً غنياً أدي لظهور التجمعات النيوليتية. أكتشف به جبانات كانت تجسيداً على الأرض للتنظيم الاجتماعي لمجتمعاتها إبان الألفية الثالثة ق.م.

ثورة القبط في سخا

البابا مينا

ثم لما مات ميخائيل قدّم اليعاقبة في سنة ست وأربعين ومائة أنبا مينا[٤٧] فأقام سبع سنين ومات. وفي أيامه خرج القبط بناحية سخا[٤٨] وأخرجوا العمال في سنة خمسين ومائة، وصاروا في جمع، فبعث إليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكرًا، فأتاهم القبط ليلًا وقتلوا عدّة من المسلمين، وهزموا باقيهم فاشتد البلاء على النصارى واحتاجوا إلى أكل الجيف!! وهُدمت الكنائس المحدثة بمصر، فهدمت كنيسة مريم المجاورة لأبي شنودة بمصر، وهدمت كنائس محارس قسطنطين، فبذل النصارى لسليمان بن علي أمير مصر في تركها خمسين ألف دينار فأبى، فلما ولي بعده موسى بن عيسى أذن لهم في بنائها، فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد[٤٩]، وعبد الله بن لهيعة، قاضي مصر واحتجا بأنّ

---

[٤٧] من رهبان دير الأنبا مقار ببرية شيهيت، جلس على كرسي الإسكندرية خلفًا للبابا ميخائيل الأول، وكان انتخابه بإجماع آراء الإكليروس والشعب. وعند الرسامة رغب في أن يحتفظ باسمه فأصبح الأنبا مينا الأول.

[٤٨] مدينة سخا مركز كفر الشيخ بمحافظة كفر الشيخ بمصر. وتقع على بعد ٢ كم جنوب مدينة كفر الشيخ. وهى "خاسوت" الفرعونية و"اكسويز" اليونانية الرومانية وكانت سخا عاصمة الإقليم السادس من أقاليم الوجه البحرى وقد كانت مقراً وعاصمة للأسرة الرابعة عشرة الفرعونية. استقرت بها قبيلة الخزاعلة فرع من قبيلة سنبس من طيء، وكانت مقر زعامة قبائل سنبس في مصر، وبمدينة سخا دارت رحى معركة سخا، التي انهزمت فيها قوات الحلف القرشي أمام جيش المماليك. تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب.

[٤٩] الإمام الليث بن سعد، الإمام الحافظ وعالم الديار المصرية، ولد بقرقشندة، وهي قرية في جنوب مصر، سنة أربع وتسعين للهجرة. والليث من أشهر الفقهاء في زمانه، فاق في علمه وفقهه إمام المدينة الإمام مالك، غير أن تلامذته لم يقوموا بتدوين علمه وفقهه ونشره في الآفاق مثلما فعل تلامذة الإمام مالك، وكان الإمام الشافعي يقول: الليث أفقهُ من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. تلقى الليثُ العلمَ على عدد من كبار علماء عصره، فسمع من

بناءها من عمارة البلاد، وبأن الكنائس التي بمصر لم تبن إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين.

البابا يوحنا

فلما مات أنبا مينا قدّم اليعاقبة بعده يوحنا فأقام ثلاثًا وعشرين سنة ومات.

ثورة القبط في ولاية موسى بن علي بن رباح

وتحويل العرب الكنائس إلى مساجد

وفي أيامه خرج القبط ببلهيت سنة ست وخمسين ومائة فبعث إليهم موسى بن عليّ أمير مصر وهزمهم.[٥٠]

نهب النصارى وحرق الأديرة

البابا مرقص الجديد

وقدّم بعده اليعاقبة مرقص الجديد[٥١] فأقام عشرين سنة وسبعين يومًا ومات.

عطاء بن أبي رباح، وابن شهاب الزهري وغيرهم كثير. كان الليث فقيه مصر ومحدثها، وكان ولاة مصر وقضاتها يرجعون إلى رأيه ومشورته. توفي في منتصف شهر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة.

[٥٠] لما قتلوا منهم (الأقباط) وسبوا وجعلوا عدة من كنائس النصارى مساجد، وكنائس النصارى مؤسسة على استقبال المشرق المغرب وزعمًا منهم أنهم أمروا باستقبال مشرق الاعتدال وأنه الجنة لطلوع الشمس منه فجعل المسلمون أبواب الكنائس محاريب عندما غلبوا عليها. وصيروها مساجد فجاءت موازية لخط نصف النهار وصارت منحرفة عن محاريبي الصحابة انحرافًا كثيرًا يحكم بخطئها وبعدها عن الصواب. تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج ١، ص٣٠٩-٣١٠

وفي أيامه كانت الفتنة بين الأمين والمأمون، فانتُهبت النصارى بالإسكندرية، وأحرقت لهم مواضع عديدة، وأحرقت ديارات وادي هبيب، ونهبت، فلم يبق بها من رهبانها إلاّ نفر قليل. وفي أيامه مضى بطرك الملكية إلى بغداد، وعالج بعض خطايا أهل الخليفة، فإنه كان حاذقًا بالطب، فلما عوفيت كتب له بردّ كنائس الملكية التي تغلب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم، وأقام في بطركية الملكية أربعين سنة ومات.

ثورة البشموريين[٥٢]

البابا يعقوب

ثم قدّم اليعاقبة بعد مرقص يعقوب[٥٣] في سنة إحدى عشرة ومائتين فأقام عشر سنين وثمانية أشهر ومات. وفي أيامه عمرت

---

[٥١] في دير القديس مقاريوس الكبير أثناء جولات البابا يوأنس الرابع البطريرك الثامن والأربعين الرعوية وجد بين الشباب شماسًا متبتلاً متبحرًا في العلوم الروحية اسمه مرقس، فاتخذه سكرتيراً له. ولما توفي أسقف بابلون طلب الشعب من البابا أن يرسم لهم الراهب مرقس سكرتيره أسقفًا لهم، ففرح البابا لهذا الطلب لما كان يعلمه من استحقاق مرقس الأسقفية. فلما سمع الراهب بنية البابا اختفى عن الأنظار فبحثوا عنه حتى وجدوه وقيدوه وساقوه إلى الإسكندرية حيث رسموه. في عهده كان الخليفة العباسي في ذلك الوقت هو هارون الرشيد الذي ازدهرت في عصره العلوم والفنون ثم توفي هارون الرشيد واختصم ابناه المأمون والأمين على الخلافة أدت إلى حرب طاحنة بينهما وكان نصيب مصر من الشقاء نتيجة لهذه الحرب نصيب الأسد. كما عانت مصر أيضًا من وفود خمسة عشر ألف لاجئ من بلاد الأندلس إليها، كانوا قد قاموا بثورة ضد الخليفة الأموي الذي قهرهم وأمر بنفيهم، فعاثوا في مصر فساداً إذ كانوا يضرمون النار في بيوت العبادة ويتحرشون بالمصريين الآمنين.

[٥٢] البشمور كورة بمصر بها قرى وريف وغياض بها كباش ليس في جميع البلاد مثلها عظماً وحسناً. محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، القاهرة، ص ١٠.

[٥٣] كان قساً بدير أبى مقار ترك وادى هبيب على أثر خراب الأديرة ومضى إلى دير في طيبة.

الديارات، وعاد الرهبان إليها، وعمرت كنيسة بالقدس[٥٤] لمن يرد من نصارى مصر، وقدم عليه ديونوسيس بطرك إنطاكية فكرمه حتى عاد إلى كرسيه وفي أيامه انتقض القبط في سنة ست عشرة ومائتين، فأوقع بهم الإفشين[٥٥] حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون،[٥٦]

---

[٥٤] القدس أو بيت المقدس أو أورشليم أو أورشليم القدس (بالعبرية: ירושלים (يروشليم؛ أو "مدينة السلام)، تعتبر القدس مدينة مقدسة بالنسبة للديانات الثلاث: اليهودية، المسيحية، الإسلام، أورشليم مدينة مقدسة لليهود منذ القرن العاشر قبل الميلاد، أما بالنسبة للمسيحية فهي مكان كنيسة القيامة فهي المدينة التي شهدت صلب المسيح وقيامته، أما بالنسبة للمسلمين فهي تحوي المسجد الأقصى ثالث أقدس مساجد عند المسلمين وأولى القبلتين قبل الصلاة باتجاه الكعبة، أيضا من القدس عرج نبي الإسلام محمد إلى السماء السابعة حسب المعتقد الإسلامي.

[٥٥] أفشين: لقب كان يلقب به الأمراء الوطنيون قبل الإسلام في أشروسنة... و كان ... قائد جند المعتصم آخر هؤلاء الأمراء. وأشروسنة: كورة من بلاد ما وراء النهر بين فرغانة وسمرقند، والاصطلاح في عرف العلماء على أن البلاد الواقعة شرق نهر جيحون إلى سيحون يطلق عليها بلاد ما وراء النهر، قال ابن خلكان: وبين النهرين مسافة خمسة وعشرين يوما، وهذان النهران مع عظمهما وسعة عرضهما يجمدان في زمن الشتاء، وتعبر القوافل عليهما بدوابهم و أثقالهم، و يقيمان كذلك ثلاثة أشهر. ترجمة طغرليك، محمد بن ميكائيل بن سلجوق، ج ٤ ص، ١٦٠.

[٥٦] أمر المأمون الأفشين بأن يهاجم البشموريين وكان ذلك في ليله الجمعة الليلة التاسعة من محرم فلم يقدر عليهم لمناعة منطقتهم المحاطة بالمياه، وكانوا يقتلون من جنوده كل يوم عددا كثيرا كما حدث من قبل. فأرسل الأفشين إلى المأمون مرة أخرى فسار الخليفة بجيشه ليحارب البشموريين أيضا وأمر أن يجمعوا كل من يعرف طرق ومسالك مناطق البشموريين، فجاء عدد من أهل المدن والقرى المجاورة لهم ومن كل الأماكن ومن أهل تندا وشبرا وسنباط وعملوا مع المسلمين كدليل إلى أن سلموا لهم البشموريين فهلكوهم وقتلوهم بالسيف ونهبوهم وأخرجوهم من مساكنهم وأحرقوها بالنار. ولما رأى المأمون كثرة القتلى أمر جنوده بأن يتوقفوا عن قتلهم، ثم أرسلهم في طلب رؤسائهم، وأمرهم أن يغادروا بلادهم غير أنهم اخبروه بقسوه الولاة المعينين عليهم وأنهم إذا غادروا بلادهم لن تكون لهم موارد رزق إذ أنهم يعيشون من بيع أوراق البردي وصيد الأسماك، وأخيرا رضخ الأبطال للأمر وسافروا على سفن إلى أنطاكيه حيث أرسلوا إلى بغداد وكان يبلغ عددهم ثلاثة آلاف، مات معظمهم في الطريق، أما الذين أسروا في أثناء القتال، فقد سيقوا كعبيد ووزعوا على العرب، وبلغ عدد هؤلاء خمسمائة، فأرسلوا إلى دمشق وبيعوا هناك"، وأمر المأمون بالبحث عما تبقى من البشموريين في مصر وأرسلهم إلى بغداد حيث مكثوا في سجونها. ثم أطلق سراحهم شقيق

فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبى أكثرهم[٥٧] ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر،[٥٨] ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك

المأمون وخليفته إبراهيم الملقب بالمعتصم، وقد عاد البعض إلى بلادهم وبقى البعض الآخر في بغداد وهم فيها حتى الآن. عندما أحرز المأمون النصر سنه ٨٣٢ م مكث شهرين في مصر ثم ذهب إلى بغداد ولم يعش غير عده شهور وتوفى في خريف٨٣٣ م، ثم تولى الخلافة أخوه المعتصم فأطلق البشموريين من السجون، ربما لشعوره بالذنب مما فعله الولاة تجاههم.

[٥٧] أول من سن قتل الأطفال والنساء في الإسلام معاوية بن أبي سفيان، فإنه بعث بسر بن أرطاة وبعث معه جيشا، وأمره أن يسير في البلاد فيقتل كل من وجده من شيعة علي بن أبي طالب وأصحابه، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان، فاجتاح المدينة ومكة والسراة واليمن قتلا وهدما، ووجد ابنين صبيين لعبيد الله بن العباس في اليمن، فأخذهما وذبحهما بيده، بمدية كانت معه ثم انكفا راجعا إلى معاوية. أقول: لما أخذ بسر الصبيين ليذبحهما، قام أمامه رجل من بني كنانة، فحامى عنهما، فقال له بسر: ثكلتك أمك، لم عرضت نفسك للقتل، فقال: اقتل دون جاري، فقتله بسر، ثم قدم الغلامين فذبحهما فخرج نسوة من بني كنانة، فقالت إحداهن لبسر: هذه الرجال تقتل، فما بال الولدان، والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الضرع الضعيف، والشيخ الكبير، ورفع الرحمة، وقطع الأرحام، لسلطان سوء، فقال بسر: والله لهممت أن أضع فيكن السيف قالت: والله، إنه لأحب إلي إن فعلت، ثم إن بسراً قتل مائة شيخ من أبناء فارس باليمن لأن ابني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم. وخاطر رجل أن يقوم إلى زياد بن أبيه وهو يخطب فيقول له: أيها الأمير من أبوك؟ ففعل، فقال له زياد: هذا يخبرك، وأشار إلى صاحب الشرطة فقدمه فضرب عنقه. وفي السنة ٥١ قتل معاوية بن أبي سفيان حجر بن عدي الصحابي الناسك الزاهد مع ستة من أصحابه وهم شريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة، وكدام بن حيان، ومحرز بن شهاب، وعبد الرحمن بن حسان، وكانت التهمة التي استوجبوا بها القتل أنهم شيعة الإمام علي وإنهم أبوا أن يتبرءوا منه، وكان مقتل الستة الأولين في وضع بالغ القسوة فان معاوية أمر أن يطالبوا بالبراءة من علي، فإن أبوا، فتحفر قبورهم أمامهم وتهيأ لهم أكفانهم ثم يقتلون من بعد ذلك ولما مشوا إلى حجر بالسيف ارتعد، فقيل له: إنك زعمت أنك لا تجزع من الموت فقال: وكيف لا أجزع وأنا أرى قبرا محفورا، وكفنا منشورا، وسيفا مشهورا. أما السادس عبد الرحمن بن حسان فإنه أحضر أمام معاوية فسأله عن قوله في علي، فرده معاوية إلى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة، فدفنه حيا.

شرح نهج البلاغة ١٤/٣ و ١٦. والعقد الفريد ١/ ٥٤ الطبري ٥/ ٢٧٥-٢٧٧ وابن الأثير ٤٧٢/٣-٤٨٨ .

[٥٨] دكتورة سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في عصر الولاة، الألف كتاب رقم ٢٤١ مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ، ص ١٣٥.

على الخروج على السلطان، وغلبهم المسلمون على عامّة القرى، فرجعوا من المحاربة إلى المكايدة واستعمال المكر والحيلة، ومكايدة المسلمين، وعملوا كتاب الخراج، فكانت لهم وللمسلمين أخبار كثيرة يأتي ذكرها إن شاء اللّه تعالى.

البابا سيماون

ثم قدّم اليعاقبة سيماون[٥٩] بطركًا في سنة اثنتين وعشرين ومائتين فأقام سنة ومات، وقيل: بل أقام سبعة أشهر وستة عشر يومًا، فخلا كرسيّ البطاركة بعده سنة، وسبعة وعشرين يومًا.

البابا يوساب

وقدّم اليعاقبة يوساب في دير بومقار بوادي هبيب في سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثماني عشرة سنة ومات.

وفي أيامه قدم مصر يعقوب مطران الحبشة، وقد نفته زوجة ملكهم.

وأقامت عوضه أسقفاً، فبعث ملك الحبشة يطلب إعادته من البطرك، فبعث به إليه، وبعث أيضًا عدّة أساقفة إلى إفريقية.

وفي أيامه مات بطرك إنطاكية الوارد إلى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطركيته.

---

[٥٩] هو البابا سيمون الثاني كان من أهالي الإسكندرية ابنًا لأبوين مسيحيين من أكابر المدينة، فقصد جبل شيهيت وترهّب في قلاية سلفه الأنبا يعقوب البطريرك، وقد أجمع المؤرخون على أن أيام باباويته قد امتازت بالسلام.

اضطهاد الأقباط في عصر المتوكل

وفي أيامه أمر المتوكل على الله[٦٠] في سنة خمس وثلاثين ومائتين أهل الذمّة:[٦١]

١- بلبس الطيالسة العسلية.

٢- وشد الزنانير.

٣- وركوب السروج بالركب الخشب.

---

[٦٠] أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي (٢٠٥-٢٤٧ هـ) هو الخليفة العباسي العاشر. بنى مدينة المتوكلية وشيد المسجد الجامع ومئذنته الشهيرة الملوية في سامراء التي هي أحد معالم المدينة، وجدد مقياس النيل. أمه تركية واسمها شجاع، بويع له لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ، وازداد نفوذ الأتراك في حكمه. قتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧ هـ وله إحدى وأربعون سنة، ودفن في القصر الجعفري، وهو قصر ابتناه بسر من رأى. وكان مربوعاً أسمر خفيف شعر العارضين، أنهى فتنة محنة خلق القرآن، وأخرج أحمد بن حنبل من الحبس وخلع عليه. بايع بولاية العهد ولده المنتصر، ثم إنه أراد أن يعزله ويولي المعتز أخاه لمحبته لأمه قبيحة، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى. وكان يحضره مجالس العامة، ويحط منزلته ويتهدده، ويشتمه ويتوعده. يُعَدُّ عهد الخليفة المتوكل هو بداية عصر ضعف الدولة العباسية وانحلالها، والذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨ م).

[٦١] المتوكل يطبخ ابن الزيات في تنور وكان أبوه زياتا (محمد بن عبد الملك الزيات) إلا أنه كان كثير المال وكان شديد القسوة صعب العريكة لا يرق لأحد ولا يرحمه وكان يقول: الرحمة خور في الطبيعة. ووقع يوما على رقعة رجل توسل إليه بقرب الجوار منه الجوار للحيطان والتعطف للنسوان. فلما أراد المتوكل قتله أحضره وأحضر تنور خشب فيه مسامير من حديد أطرافها إلى داخل التنور تمنع من يكون فيه من الحركة كان محمد اتخذه ليعذب فيه من يطالبه. وهو أول من عمل ذلك وعذب فيه ابن أسباط المصري وقال أجرينا فيك حكمك في الناس فأجلس فيه فمات بعد ثلاث وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقيل إنه كتب في التنور بفحمة من له عهد بنوم يرشد الصب إليه رحم الله رحيما دل عيني عليه ودفن ولم يعمق قبره فنبشته الكلاب.

تاريخ الطبري ٤٨٨/٢ ، ٤٩٠، ٤٩١ وفيات الاعيان ١٠٢/٥.

٤- وعمل كرتين في مؤخر السرج.

٥- وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب، قدر كلّ واحدة منهما أربع أصابع، ولون كلّ واحدة منهما غير لون الأخرى.

٦- ومن خرج من نسائهم تلبس إزارًا عسليًا.

٧- ومنعهم من لباس المناطق.

٨- وأمر بهدم بيعهم المحدثة.

٩- وبأخذ العشر من منازلهم.

١٠- وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب.

١١- ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان.

١٢- ولا يعلمهم مسلم.

١٣- ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليبًا.

١٤- وأن لا يشعلوا في الطريق نارًا.

١٥- وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض وكتب بذلك إلى الآفاق، ثم أمر في سنة تسع وثلاثين أهل الذمّة:

أ - بلبس دراعتين عسليتين على الذراريع والأقبية.

ب - وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين.[٦٢]

---

[٦٢] البراذين: جمع برذون، والبرذون: ضرب من الدواب يخالف الخيل العربي، عظيم الخلقة، عظيم الأعضاء.

فلما مات يوساب في سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسي بعده ثلاثين يومًا.

البابا ميكائيل

وقدم اليعاقبة قسيسًا بدير بحنس يدعى بميكائيل[٦٣] في البطركية، فأقام سنة وخمسة أشهر ومات، فدفن بدير بومقار، وهو أوّل بطرك دفن فيه، فخلا الكرسيّ بعده أحدًا وثمانين يومًا.

البابا قسيما الثاني

ثم قدم اليعاقبة في سنة أربع وأربعين ومائتين شماسًا بدير بو مقار اسمه قسيما[٦٤] فأقام في البطركية سبع سنين وخمسة أشهر ومات فخلا الكرسيّ بعده أحدًا وخمسين يومًا.

وفي أيامه أمر نوفيل بن ميخائيل ملك الروم بمحو الصور من الكنائس، وأن لا تبقى صورة في كنيسة، وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة أنه عمل في صورة مريم[٦٥] عليها السلام شبه ثدي يخرج منه

---

[٦٣] كان هذا الأب راهبًا وقد رُسم قسًا على دير القديس أنبا يحنس. وكان ذا سيرة صالحة، فاختاروه بطريركًا واعتلى كرسي البطريركية، سيم في عهد خلافة المتوكل بن المعتصم، ولم يكد يجلس على الكرسي حتى تعرض له الولاة طالبين منه مبالغ طائلة على سبيل الرشوة أو يمنعوه من الجلوس على الكرسي، فاضطر أن يبيع ذخائر الكنيسة ويوفي المطلوب.

[٦٤] وأصبح قزمان الثاني بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيه رقم ٥٤ وعاصر هذا البابا الخليفة المتوكل، وكان والى الإسكندرية اسمه أحمد ابن دينار فأمر بالقبض على قزما ووضعه في السجن وعذبه وطلب منه كل ما دفع من صدقات في هذا العيد التي كانت تصرف على الكنائس طوال العام ويستخدم بعضها للصرف على الفقراء، فأخذ منه كل الصدقات المقدمة من الشعب إلى الله في هذه السنة، ولم يتوقف عند هذا الحد بل إنه أمر بألا يغادر البابا القبطي مقره الباباوى بالإسكندرية.

[٦٥] سلسلة نسبها: يذكر عن السيدة مريم أم السيد المسيح أنها كانت نسيبة لأليصابات التي كانت "من بنات هرون" (الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ١: ٥)، مما قد يدفع إلى الظن بأن

لبن ينقط في يوم عيدها، فكشف عن ذلك فإذا هو مصنوع، ليأخذ به القيم المال، فضرب عنقه، وأبطل الصور من الكنائس، فبعث إليه قسيمًا بطرك اليعاقبة وناظره حتى سمح بإعادة الصور على ما كانت عليه.

البابا ساتير

ثم قدّم اليعاقبة ساتير[٦٦] بطركًا فأقام تسع عشرة سنة ومات.

البابا يوسانيوس

فأقيم يوسانيوس[٦٧] في أوّل خلافة المعتز، فأقام إحدى عشرة سنة ومات وعمل في بطركيته مجاري تحت الأرض بالإسكندرية، يجري بها الماء من الخليج إلى البيوت.

مريم كانت أيضاً من سبط لاوي، بينما يكاد الإجماع ينعقد على أنها كانت من نسل داود الملك، وأن عبارة "من بيت داود" (الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ١: ٢٧) يمكن أن تكون وصفاً للعذراء أو ليوسف، كما أن الملاك يقول للعذراء إن المولود منها "يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه" (الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ١: ٣٢). ويقول زكريا الكاهن: "أقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه" (الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ١: ٦٩). وإطلاق لقب "ابن داود" في مواضع كثيرة على السيد المسيح (الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ٩: ٢٧، ١٥: ٢٢، ٢٠: ٣٠ و٣١، الإنجيل بحسب ما دونه القديس مرقس ١٠: ٤٧ و٤٨) يتضمن أنه سواء من جانب أمه أو من جانب يوسف، كان السيد المسيح من نسل داود. وقد ثبت أن كليهما (مريم ويوسف) كانا من بيت داود" (الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ٢: ٤). ويرى الكثيرون أن لوقا يعطينا في الإصحاح الثالث سلسلة نسب مريم (الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ٣: ٢٣-٣٨). أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: النصارى، تحقيق دكتور جمال محمد أبو زيد، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٦.

[٦٦] لم يذكر في المصادر الكنسية الخاصة بتاريخ الكنيسة القبطية.

[٦٧] لعله البابا شنودة الأول، نشأ في البتانون، وترهب بدير القديس مقاريوس، كانت بداية حبريته فترة خير للكنيسة، إذ كان الوالي عبد الواحد بن يحي إنسانًا عادلاً أحسن معاملة المصريين جميعًا على السواء. ولكن بعد أربع سنوات تغيّر الوالي وأتى من بعده ولاة أتراك معينين من قِبَل الخلفاء العباسيين، فنالته هو والشعب شدائد كثيرة واضطهادات. في عام ٨٦١

وفي أيامه قدم أحمد بن طولون مصر أميرًا عليها.

البابا ميخائيل

ثم قدّم اليعاقبة ميخائيل فأقام خمسًا وعشرين سنة ومات بعدما ألزمه أحمد بن طولون بحمل عشرين ألف دينار، باع فيها رباع الكنائس الموقوفة عليها، وأرض الحبش ظاهر فسطاط مصر، وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود، وقرّر الديارية على كلّ نصرانيّ قيراطًا في السنة، فقام بنصف المقرّر عليه.

وفي أيامه قُتل الأمير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون[٦٨] فلما مات شغر كرسيّ الإسكندرية بعده من البطاركة أربع عشرة سنة

م صار يزيد واليًا على مصر، فأمر البابا أن يدفع خمسة آلاف دينارًا كل عام. وإذ لم يكن ممكنًا للبابا دفع هذا المبلغ هرب واختفى في أحد الأديرة البعيدة. صار الوالي ينهب الكنائس ويسلب الكهنة ويهين الشعب، فاضطر البابا أن يُسلّم نفسه للوالي، فطلب منه دفع سبعة آلاف دينارًا، فأخذ الأساقفة والكهنة يجدون في جمع المبلغ من الشعب فلم يستطيعوا أن يجمعوا سوى أربعة آلاف دينارًا سلّموها للبابا، فسلّمها للوالي وتعهد بدفعها سنويًا إن أطلقه.

[٦٨] ولد أحمد بن طولون في بغداد عاصمة الخلافة العباسية أيام حكم الخليفة المأمون فظل يترقى في خدمة البلاط العباسي ودربه أبوه على القتال من صغره، وعنى بتربيته بطلب العلم. وتأدب على مذهب من مذاهب الفقه هو مذهب أبي حنيفة، وأظهر من النجابة والحكمة ما ميزه على أترابه. وفى سنة ٢٤٠هـ توفي أبوه في عهد الخليفة المتوكل، فقدمه الخليفة وولاه على الجيش فى منطقة الثغور، وفي سنة ٢٥٤هـ قام الخليفة المعتز بإعطاء القائد (بايكباك) ولاية مصر، وبالرغم من أن بايكباك أصبح واليا على مصر إلا أنه لم يمارس وظيفته كوال ولكنه أناب عنه أحمد بن طولون في ولايتها فقدم إليها سنة ٢٥٤ هجرية = ٨٦٨م. وكان بايكباك قد تزوج والدة أحمد ابن طولون بعد وفاة أبيه. وفي سنة ٢٥٦هـ حدثت ثورة في بغداد وقتل (بايكباك) فيها وانتهت الثورة بخلع الخليفة المهتدي وقتله، وكان من حظه أن وهبت ولاية مصر إلى حميه القائد الأمير ماجور (بارجوخ) بعد وفاة بايكباك فأقره على ولايتها. ولما أعطيت ولاية مصر للقائد الأمير فترك أحمد بن طولون على ولاية مصر. لأن أحمد كان قد تزوج ابنته. وعندما مات (بارجوخ) عين الخليفة المعتمد ابن طولون واليا على مصر. وقام ابن طولون بالاستيلاء على الشام وكان أميرها (أماجور التركي) توفى. وحارب البيزنطيين في طرسوس وهزمهم واستعاد منهم أسرى المسلمين، وأصبحت أملاكه تمتد من

وفي يوم الاثنين ثالث شوّال سنة ثلاثمائة أحرقت الكنيسة الكبرى المعروفة بالقيامة في الإسكندرية وهي التي كانت هيكل زحل، وكانت من بناء كلابطرة.[٦٩]

البابا غبريال

وفي سنة إحدى وثلاثمائة قدم اليعاقبة غبريال بطركًا، فأقام إحدى عشرة سنة ومات وأخذت في أيامه الديارية على الرجال والنساء.

البابا قسيما

وقدّم بعده اليعاقبة في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة قسيمًا[٧٠] فأقام اثنتي عشرة سنة ومات.

وفي يوم السبت النصف من شهر رجب سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق، ونهبوا ما فيها من

طرسوس حتى نهر الفرات وبهذه الانتصارات ملك ابن طولون مصر والشام والجزيرة والثغور. ووافق الخليفة المعتمد على حكمه لهذه المناطق. وكانت ولاية أحمد بن طولون على مصر أول الأمر قاصرة على الفسطاط أما أمر الخراج فكان موكولا إلى ابن المدير فما زال بحسن سياسته يوسع في نفوذه حتى شمل سلطانه مصر جميعها وتولى أمر الخراج وامتد نفوذه إلى الشام وبرقة وأسس الدولة الطولونية الشبه مستقلة التي حكمت مصر. وفترة ولايته تتمثل فيها النقلة التي انتقلتها مصر من ولاية تابعة للخلافة العباسية إلى دولة ذات استقلال ذاتي.

[٦٩] كليوباترا.

[٧٠] البابا قزمان الثالث. من الشدائد التي قابلها هذا البابا ما حدث من تقتيل وتدمير في البلاد، نتيجة لهجوم الفاطميين على الإسكندرية والاستيلاء عليها، قبل أن يتمكن الخليفة العباسي من استرداد المدينة بعد إرسال الإمداد الحربي اللازم، وقد قاسى المصريون الأهوال بعد انسحاب الجيش الفاطمي، وذلك لأن جند الولاة المتنافسين أخذوا يسلبون وينهبون ويقتلون دون تفريق بين مسلم ومسيحي.

الآلات والأواني، وقيمتهما كثيرة جدًّا، ونهبوا ديرًا للنساء بجوارها، وشعثوا كنائس النسطورية، واليعقوبية.

فرض الجزية

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة قدم الوزير عليّ بن عيسى بن الجرّاح إلى مصر، فكشف البلد وألزم الأساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بأداء الجزية فأدّوها، ومضى طائفة منهم إلى بغداد واستغاثوا بالمقتدر باللّه، فكتب إلى مصر بأن لا يؤخذ من الأساقفة والرهبان والضعفاء جزية، وأن يجروا على العهد الذي بأيديهم.

حرق كنيسة القيامة

البابا مقارة

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قدّم اليعاقبة بطركاً اسمه مقارة.[٧١] فأقام عشرين سنة ومات وفي أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وحرّقوا كنيسة القيامة ونهبوها، وخرّبوا منها ما قدروا عليه.

سعيد بن بطريق بطريرك الملكية

وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة مات سعيد بن بطريق بطرك الإسكندرية على الملكية بعدما أقام في البطركية سبع سنين ونصفًا في شرور متصلة مع طائفته فبعث الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد أبا الحسين من قوّاده في طائفة من الجند

---

[٧١] من قرية شبرا قبالة وكان وحيداً لأمه العجوز ولكنه ترهب من صغره فى دير أبى مقار.

إلى مدينة تنيس[٧٢] حتى ختم على كنائس الملكية، وأحضر آلاتها إلى الفسطاط وكانت كثيرة جدًّا فافتكها الأسقف بخمسة آلاف دينار باعوا فيها من وقف الكنائس، ثم صالح طائفته وكان فاضلًا وله تاريخ مفيد، وثار المسلمون أيضًا بمدينة عسقلان[٧٣] وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا ما فيها، وأعانهم اليهود حتى أحرقوها، ففرّ أسقف عسقلان، إلى الرملة وأقام بها حتى مات.

البابا تاوفانيوس

وقدم اليعاقبة في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة تاوفانيوس بطركًا، فأقام أربع سنين وستة أشهر ومات.

البابا مينا

فأقيم بعده مينا[٧٤] فأقام إحدى عشرة سنة ومات، فخلا الكرسي بعده سنة.

---

[٧٢] مدينة تنيس مدينة مصرية مندثرة كانت تقع على جزيرة تحمل اسمها في الشمال شرقي من بحيرة تنيس (المنزلة حاليا) بين مدينتي الفرما ودمياط. وقد لعبت مدينة تنيس دوراً حضارياً كبيرا في تاريخ مصر فقد كانت ثغراً بحرياً هاماً ومقر الأسطول وبها دار لصناعة السفن، كما كانت مركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج الرفيع.

[٧٣] مدينة عسقلان (بالعبرية: אַשְׁקְלוֹן، واللاتينية: Ascalon) كانت ميناء فلسطيني قديم على ساحل البحر الأوسط الشرقي شمال غزة. عسقلان أيضاً مدينة حديثة في النقب الغربي في إسرائيل، بنيت من عدة مدن فلسطينية وقرى منها الجوره والمجدل وحمامة ١٩٥٠ م.

[٧٤] عاصر هذا البابا "كافور" الذي كان وليًا ووصيًا على القاصرين أبناء الأخشيد، وقد اشتهر كافور هذا بعدله وإنصافه فأقيمت في عهده الاحتفالات الرسمية بالأعياد القبطية. وانصرف البابا إلى بناء الكنائس وترميمها وإقامة الكتاتيب والمدارس للأطفال، وكرّس الميرون المقدس في الكنيسة التي أقامها على اسم مار مرقس في "محلة دانيال"، وذلك على غير العادة التي تجري بتكريسه في الأديرة.

البابا أفراهام بن زرعة

ثم قدم اليعاقبة افراهام بن زرعة[٧٥] في سنة ست وستين وثلاثمائة، فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسمومًا من بعض كتاب النصارى، وسببه أنه منعه من التسرّي، فخلا الكرسي بعده ستة أشهر.

البابا فيلاياوس

وأقيم فيلاياوس[٧٦] في سنة تسع وستين فأقام أربعًا وعشرين سنة ومات وكان مترفًا[٧٧].

أرسانيوس بطريك الملكية

وفي أيامه أخذت الملكية كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة البطرك، تسلمها منهم بطرك الملكية أرسانيوس في أيام العزيز باللّه نزار بن المعز.[٧٨]

البابا زخريس

وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قدم اليعاقبة زخريس (زخرياس) بطركًا فأقام ثماني وعشرين سنة.[٧٩]

---

[٧٥] كان أبرآم بن زرعة السرياني الجنس تاجرًا ذا أموال كثيرة، يتردد على مصر مرارًا، وأخيرًا استقر فيها. أبطل العادات الرديئة ومنع كل من يأخذ رشوة من أحد لتقدمته بالكنيسة، حرم أيضًا اتخاذ السراري.

[٧٦] البابا فيلوثاؤس. اختير من بين رهبان دير أبي مقار.

[٧٧] يذكر تاريخ البطاركة أنه انتهى إلى نهاية سيئة، وذلك أنه لم يكن يحيا الحياة النسكية التي تليق بطقسه كراهب وبطريرك.

[٧٨] العزيز بالله نزار بن معد بن إسماعيل (٣٤٤ هـ/٩٥٥ م - ٢٨ رمضان ٣٨٦ هـ/١٥ أكتوبر ٩٩٦ م) هو خامس الخلفاء الفاطميين والإمام الخامس عشر من أئمة الإسماعيلية.

الحاكم بأمر الله وأهل الذمة

منها في البلايا مع الحاكم بأمر الله أبي عليّ منصور بن العزيز بالله[٨٠] تسع سنين اعتقله فيها ثلاثة أشهر، وأمر به فألقي للسباع هو وسوسنة النوبي فلم تضرّه فيما زعم النصارى.

ولما مات (البابا) خلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يومًا وفي بطركيته نزل بالنصارى شدائد لم يعهدوا مثلها، وذلك أن كثيرًا منهم كان قد تمكن في أعمال الدولة، حتى صاروا كالوزراء، وتعاظموا لاتساع أحوالهم، وكثرة أموالهم، فاشتدّ بأسهم وتزايد ضررهم ومكايدتهم للمسلمين، فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك، وكان لا يملك نفسه إذا

---

[٧٩] كان من أهل الإسكندرية وُرسم قسا بكنيسة الملاك ميخائيل. وكان شيخًا متبتلاً طاهر السيرة وديع الخُلق، وكان محبوبًا من جميع الأساقفة حتى أنهم كانوا ينزلون عنده في كنيسته. لما تنيح القديس فيلوثاؤس البابا الثالث والستون، وقع الاختيار عليه ليخلفه، وكان السبب في الإسراع باختياره دون رهبان الأديرة هو ما بلغهم عن أحد أعيان الإسكندرية المدعو إبراهيم بن بشر، الذي كان مقربًا من الخليفة، والذي قدّم له رشوة وحصل منه على مرسوم بتعيينه بطريركا، وأوفده مع بعض الجند إلى الإسكندرية. فاتفق الأساقفة مع الشعب على تقديم القس زكريا ورسامته بطريركا، وبقي في الرئاسة ثمانية وعشرين عامًا، ثم تنيح سنة ١٠٣٢. العيد يوم ١٣ هاتور.

[٨٠] الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي السادس، حكم من ٩٩٦ إلى ١٠٢١. ولد في مصر وخلف والده في الحكم العزيز بالله نزار وعمره ١١ سنة. اتسمت فترة حكمه بالتّوتر، فقد كان على خلاف مع العباسيين الذين كانوا يحاولون الحد من نفوذ الإسماعيليين، وكان من نتائج هذا التوتر في العلاقات أن قامت الخلافة العباسية بإصدار مرسوم شهير في عام ١٠١١ وفيه نص مفاده أن الحاكم بأمر الله ليس من سلالة علي بن أبي طالب. وبالإضافة إلى نزاعه مع العباسيين فقد انهمك أيضا الحاكم بأمر الله في صراع آخر مع القرامطة. تميز عهد الحاكم بإصدار العديد من القوانين الشاذة الغريبة، فقد حرم أكل الملوخية وأمر الناس بأن يعملوا ليلا ويستريحوا نهارا. اختفى الحاكم بأمر الله في عام ١٠٢١، وبالرغم من أرجحية وفاته، إلا أن عقيدة الدروز تؤمن بأنه دخل غيبة كبرى وأنه سيرجع بصفته المهدي المنتظر.

غضب،[81] فقبض على عيسى بن نسطورس النصرانيّ، وهو إذ ذاك في رتبة تضاهي رتب الوزراء، وضرب عنقه، ثم قبض على فهد بن إبراهيم النصرانيّ، كاتب الأستاذ برجوان، وضرب عنقه، وتشدد على النصارى، وألزمهم:

١- بلبس ثياب الغيار.

٢- وشدّ الزنار[82] في أوساطهم.

٣- ومنعهم من عمل الشعانين،[83] وعيد الصليب،[84] والتظاهر بما كانت عادتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع واللهو.

٤- وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس، والديارات، وأدخله في الديوان وكتب إلى أعماله كلها بذلك.

---

[81] روى الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن الحاكم بأمر الله الفاطمي كان يتجول في الأسواق على حمار ومعه غلام أسود ضخم فمن أراد تأديبه أمر الأسود فأولج فيه جهاراً.

[82] ز ن ر: الزنار للنصارى وزان تفاح والجمع زنانير وتزنر النصراني شد الزنار على وسطه وزنرته بالتشديد ألبسته الزنار.

[83] يحتفل المسيحيون في أحد الشعانين بذكرى دخول المسيح إلى أورشليم. وقد اعتاد الناس في بعض البلدان أن يحتفلوا بهذه الذكرى بطرق تقليدية مختلفة. يذهب البعض إلى الكنائس برفقة أولادهم. ويحملون الشموع المزيّنة بالزنابق والورود، كما يحمل البعض الآخر سعف النخل وأغصان الزيتون، ويسيرون مع جموع المؤمنين هاتفين: "أوصنا لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب أوصنا في الأعالي" (الإنجيل بحسب ما دونه متى ٩:٢١).

[84] قصة عيد الصليب هي كالآتي: هيلانة زوجة إمبراطور الروم اعتنقت المسيحية بالسر إلى حد وفاة زوجها، فأشهرت مسيحيتها في زمن ابنها الإمبراطور قسطنطين الأكبر وأصبحت إمبراطورية الروم مسيحية. وهنا وجهت هيلانة الملكة عساكرها في القدس للبحث عن صليب يسوع المسيح الذي صلب عليه، وأبلغت عساكر إمبراطوريتها من القدس إلى قسطنطينية {اسطنبول حاليا} أن يشعلوا النار على قمة كل جبل أو مرتفع في حالة العثور على الصليب حتى يصل الخبر بأسرع ما يمكن وفعلا تم ذلك ووصل الخبر إلى الملكة، ومن ذالك الوقت لحد الآن يحتفل بهذا العيد.

٥- وأحرق عدّة صلبان كثيرة.

٦- ومنع النصارى من شراء العبيد والإماء.

٧- وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة، وأباح ما فيها للناس فانتهبوا منها ما يجل وصفه.

٨- وهدم دير القصير وأنهب العامة ما فيه.

٩- ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر، وأبطل ما كان يُعمل فيه من الاجتماع للهو.

١٠- وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرطال في أعناقهم.

١١- ومنعهم من ركوب الخيل، وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير، بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة، بل تكون من جلود سود وضرب بالحرس في القاهرة ومصر.

١٢- أن لا يركب أحد من المكارية ذميًا.

١٣- ولا يحمل نوتيّ مسلم أحدًا من أهل الذمة.

١٤- وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد.

١٥- وركب سروجهم من خشب الجميز.

١٦- وأن يُعلق اليهود في أعناقهم خشبًا مدوّرًا، زنة الخشبة منها خمسة أرطال، وهي ظاهرة فوق ثيابهم.

١٧- وأخذ في هدم الكنائس كلها، وأباح ما فيها، وما هو محبس عليها للناس نهبًا وإقطاعًا فهُدمت بأسرها، ونهب جميع أمتعتها، وأقطع أحباسها.

١٨- وبني في مواضعها المساجد وأذن بالصلاة في كنيسة شنودة بمصر، وأحيط بكنيسة المعلقة في قصر الشمع، وكثر الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها، فلم يردّ قصة منها إلا وقد وقع عليها بإجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات، وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك، وتصرفوا في أحباسها، ووجد بكنيسة شنودة مال جليل، ووجد في المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جدًا إلى الغاية.

١٩- وكتب إلى ولاة الأعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات، فعمّ الهدم فيها من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذكر من يوثق به في ذلك: أن الذي هدم إلى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالهما، من الهياكل التي بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة، ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة، وقبض على أوقافها، وكانت أوقافًا جليلة على مبان عجيبة.

٢٠- وألزم النصارى أن تكون الصلبان في أعناقهم إذا دخلوا الحمام وألزم اليهود أن يكون في أعناقهم الأجراس إذا دخلوا الحمام.

٢١- ثم ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر إلى بلاد الروم، فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة، واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين، حتى أعفوا من النفي، وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى.

وفي سنة سبع وأربعمائة وثب بعض أكابر البلغر على ملكهم قمطورس فقتله وملك عوضه وكتب إلى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فأقرّه، ثم قُتل بعد سنة، فسار الملك باسيل إليهم في شوال سنة ثمان وأربعمائة، واستولى على مملكة البلغر،[٨٥] وأقام في قلاعها عدّة من الروم وعاد إلى قسطنطينية، فاختلط الروم بالبلغر ونكحوا منهم، وصاروا يدًا واحدة بعد شدّة العداوة.

البابا سابونين

وقدّم اليعاقبة عليهم سابونين[٨٦] بطركًا بالإسكندرية في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، في يوم الأحد ثالث عشري برمهات، فأقام خمس عشرة سنة ونصفًا ومات في طوبه، وكان محبًا للمال، وأخذ الشرطونية[٨٧] فخلا الكرسيّ بعده سنة وخمسة أشهر.

---

[٨٥] يعود تاريخ البلغر إلى ما يزيد عن ٣٠٠٠ عام ويتضمن فترات النفوذ التراسياني والروماني والبيزنطي. وقد كانت دولة البلغر قائمة لمدة تزيد عن ١٣ قرناً. البلغار، وهم شعب تركي هاجر من السهول في شمال البحر الأسود، وغزوا القبائل السلافية، وأسسوا أول مملكة بلغارية في عام ٦٨١ بعد الميلاد. وقد اندمج البلغار في الشعب السلافي الأكبر، وهي عملية سهلتها اعتناق المسيحية الأرثوذكسية من جانب الملك "بوريس الأول" في القرن التاسع. وقد أعطت عملية اختراع الحروف السيريلية وتبني المسيحية كدين للدولة في عام ٨٦٤ دفعة قوية للتطور الثقافي للبلاد .وتحت حكم الملك "سيمون الأول"، بلغت بلغاريا قمة قوتها، وقد قيل إن عاصمتها، بريسلاف، كانت تنافس القسطنطينية في قوة حياتها التجارية والفكرية .وقد سقطت المملكة البلغارية الأولى أمام البيزنطيين عام ١٠١٨ في حين قامت المملكة البلغارية الثانية، التي أنشأت عام ١١٨٥ في فليكو تارنوفو، بإعادة الحدود وبدأت" حقبة ذهبية "أخرى، كانت أثناءها أراض بلغاريا تطل على ثلاثة بحار: البحر الأسود، البحر الأدرياتي وبحر إيجة.

[٨٦] البابا شنودة الثانى. بعد وفاة البابا زكريا استحسن الأساقفة والأراخنة الراهب شنودة بدير أنبا مقار.

[٨٧] الشرطونية: وباليونانية خرتونيا وهي ضريبة يدفعها الراهب للأسقف ليرسمه قساً وليدخل في سلك رؤساء النصرانية. ومعناها وضع اليد للتبريك والارتسام فورياً، ووضع شارات وأشرطة الرتبة الدينية، فهي ما يدفعه القس للكنيسة عند ترسيمه.

البابا أخرسطوديس

ثم قدّم اليعاقبة أخرسطوديس[٨٨] بطركًا في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر، وهو الذي جعل كنيسة بومرقوره بمصر، وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة في أيام بطركيته، فلم يقم بعده بطرك اثنين وسبعين يومًا .

البابا كيرلص

ثم أقام اليعاقبة كيرلص فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفًا، ومات بكنيسة المختار من جزية مصر المعروفة بالروضة، في سلخ ربيع الآخر، سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل بدلة للبطاركة من ديباج أزرق، وبلارية ديباج أحمر، بتصاوير ذهب، وقطع الشرطونية، فلم يول بعده بطرك مدّة مائة وأربعة وعشرين يومًا.

البابا ميخائيل الحبيس

ثم أقيم ميخائيل الحبيس بسنجار[٨٩] في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ومات في المعلقة بمصر وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه إلى بلاد الحبشة[٩٠] بهدية سنية،

---

[٨٨] البابا خيروستوذولو هو أصلاً من بلدة بورة على الشاطئ الغربي لفرع دمياط، وترهب منذ حداثته بدير البراموس، وانتقل منها ليتوحد في صومعة تطل على البحر في نتراوه (بحيرة البرلس حاليًا).

[٨٩] سنجار: قرية في مصر ابتلعتها بحيرة البرلس كانت أسقفية قبل دخول العرب مصر.

[٩٠] إثيوبيا، وعرفت في الأدبيات العربية القديمة "بالحبشة"، هي دولة تقع فوق الهضاب في القرن الأفريقي. والأحباش كونوا لهم في القرن السابع قبل الميلاد مملكة أكسوم وعاصمتها مدينة أكسوم. وكانت مملكة أكسوم قد قامت علي ساحل البحر الأحمر فيما يعرف حاليا بإريتريا. ففي سنة ٥٠٠ ق.م. قامت المجتمعات المختلطة الساحلية من الفلاحين المحليين والتجار المهاجرين من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية بتطوير لغتهم ونظام كتابتهم.

فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه، فعرّفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك، فأمر بفتح سدّ يجري منه الماء إلى أرض مصر ففتح وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع، واستمرّت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت، ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن إليه.

البابا أبو مقارة الثاني

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قدّم اليعاقبة مقاري بطركًا بدير بومقار، وكمل بالإسكندرية، وعاد إلى مصر، ثم مضى إلى دير بومقار فقدّس به، ثم جاء إلى مصر فقدّس بالمعلقة فأقام ستًا وعشرين سنة وأحدًا وأربعين يومًا ومات.

فخلت مصر من بطرك اليعاقبة سنتين وشهرين وفي أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر، هدم فيها كنيسة المختار بالروضة، واتهم الأفضل بن أمير الجيوش بهدمها، فإنها كانت في بستانه.

وفي أيامه أبطل عوايد كثيرة للنصارى فبطلت بعده.

وأصبحت الموانئ منذ القرن الأول موحدة تحت سيطرة مملكة عاصمتها أكسوم وبينما كانت مدينة مروي تنهار كانت مدينة أكسوم تزدهر. وكانت مميزة لمعمارها من الحجارة المميز ولاسيما أعمدة إستلا (مادة) المنقوشة والأعمدة الحجرية. وفي منتصف القرن الرابع تحول الملك عيزانا Ezana للمسيحية وارتبط بالكنيسة القبطية المصرية. وفي القرن السابع م. أصبح البحر الحمر تحت سيطرة المسلمين وفقدت أكسوم تجارتها واتصالها بالمحيط الهندي. وتلاشت المملكة في القرن العاشر. وأصبحت تابعة للكنيسة بإثيوبيا. وفي إثيوبيا (حبشة) قامت في الهضبة الإثيوبية مملكة إثيوبيا سنة ٨٠٠ م. وكان الفلاحون يفلحون الوديان الخصبة ويدفعون الضرائب للطبقة الحاكمة. وكانوا يشيدون الكنائس المنحوتة في الصخور مازال معظمها قائما حتى اليوم. ومن حضارتها المسلات التي يصل ارتفاعها ٦٠ قدما وكل مسلة عبارة عن كتلة جرانيتية واحدة. وكلمة إثيوبيا معناها الوجه المحترق أو الأسود (الأسمر) ومن أكبر قبائلها القراقي. وهذه الكلمة أطلقت علي الحبشة وجنوب مصر بالنوبة وسواحل شرق أفريقيا علي البحر الأحمر وجنوب بلاد العرب التي تطل علي المحيط الهندي. ولقد أطلق عليها في التوراة حبشت.

البابا غبريال الثاني

ثم قدّم اليعاقبة غبريال المكنى بأبي العلا صاعد بن تريك الشماس بكنيسة مرقوريوس في سنة خمس وعشرين وخمسمائة بالمعلقة، وكمل بالإسكندرية، وقدّس بالأديرة بوادي هبيب، وأقام أربع عشرة سنة ومات، فخلا بعده كرسيّ اليعاقبة ثلاثة أشهر.

البابا ميخائيل بن التقدوسي

ثم قدّم اليعاقبة ميخائيل بن التقدوسيّ[٩١] الراهب بقلاية دمشري بطركًا، فأقام مدّة سنة وسبعين يومًا.

البابا يونس أبو الفتح

ثم أقيم يونس أبو الفتح[٩٢] بطركًا بالمعلقة، وكمل بالإسكندرية، فأقام تسع عشرة سنة، ومات في سابع عشري جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، فخلا الكرسيّ بعده ثلاثة وأربعين يومًا.

البابا مرقص بن زرعة

وقدم مرقص بن زرعة[٩٣] المكني بأبي الفرج، بطرك اليعاقبة بمصر، وكمل بالإسكندرية، فأقام اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر،

---

[٩١] البابا ميخائيل الثاني. وعندما جاء الفيضان ناقصًا إلى الحد الذي أزعج السلطات، طلبوا إلى البابا الذهاب إلى إثيوبيا لاتخاذ الوسائل التي تسهل مرور مياه النيل، وفعلاً جاءت إرساليته بالبشارة الطيبة وانصلحت العلاقات بين مصر وإثيوبيا بفضل البابا الذي كان أول بابا إسكندري يسافر إلى إثيوبيا رغم استمرار العلاقات بين الكنيستين منذ البابا أثناسيوس البابا العشرين.

[٩٢] البابا يؤانس الخامس هو يؤنس (يوحنا) بن أبي الفتح من دير أبي يحنس.

[٩٣] البابا مرقس الثالث، كان هذا البابا يعيش مشاعر الناس يشاركهم أفراحهم وأحزانهم، نزل إلى سائر أنحاء البلاد يعزي القلوب ويضمد الجراح خصوصًا بعد أن لمس الضيق الشديد

وخمسة وعشرين يومًا ومات وفي أيامه انتقل مرقص بن قنبر وجماعة من القنابرة إلى رأي الملكية، ثم عاد إلى اليعقوبية فقبل.

ثم عاد إلى الملكية، ورجع فلم يُقبل، وكان هذا البطرك له همة ومروءة وفي أيامه كان حريق شاور الوزير [٩٤] لمصر في ثامن عشر هاتور، فاحترقت كنيسة بومرقورة، [٩٥] وخلا بعده كرسيّ البطاركة سبعة وعشرين يومًا.

البابا يونس

يونس بن أبي غالب: ثم قدم اليعاقبة يونس بن أبي غالب بطركًا في يوم الأحد عاشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وخمسمائة وكمل بالإسكندرية، فأقام ستًا وعشرين سنة، وأحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وستمائة بالمعلقة بمصر، ودفن بالحبش، وكان في ابتداء أمره تاجرًا يتردّد إلى اليمن في البحر حتى كثر ماله، وكان معه مال لأولاد الخباب، فاتفق أنه غرق في بحر الملح، وذهب ماله ونجا بنفسه إلى القاهرة وقد أيس أولاد الخباب من مالهم، فلما لقيهم أعلمهم أن مالهم قد سلم! فإنه كان قد عمله في نقائر خشب مسمرة في المركب فصار لهم به عناية، فلما مات مرقص بن زرعة سعى يونس هذا للقس أبي ياسر فقال له أولاد الخباب: خذ أنت البطركية، ونحن نزكيك فوافقهم وأقيم بطركًا،

الذي حل بالقبط من جراء تشدد أسد الدين شركوه ووزيره بهاء الدين قراقوش اللذين قتلا ونهبا الأموال واغتصبا النساء بالإضافة إلى السياسة البغيضة للقبط.

[٩٤] شاور هو وزير الخليفة العاضد، وعندما تولى شاور الوزارة وأساء السيرة في الرعية وأخذ أمر مصر في وزارته في إدبار وكان خبيثًا سفاكًا للدماء قتله أسد الدين شيروكوه بالسكين، وذلك بأمر العاضد.

[٩٥] كنيسة مرقوريوس.

فشق ذلك على أبي ياسر وهجره بعد صحبة طويلة، وكان معه لما استقرّ في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية، أنفقها على الفقراء، وأبطل الديارية، ومنع الشرطونية، ولم يأكل لأحد من النصارى خبزًا! ولا قبل من أحد هدية.

البابا داود بن يوحنا

داود بن يوحنا بن لقلق: فلما مات قام أبو الفتوح نشو الخليفة بن الميقاط، كاتب الجيش، مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيوميّ،[٩٦] فإنه كان خصيصًا به، فأجابه وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد بن السلطان، فشق ذلك على النصارى وقام منهم الأسعد بن صدقة، كاتب دار التفاح بمصر، ومعه جماعة وتوجهوا سحرًا ومعهم الشموع إلى تحت قلعة الجبل، حيث كان سكن الملك الكامل، واستغاثوا به ووقعوا في القس، وقالوا: لا يصلح وفي شريعتنا أنه لا يقدّم البطرك إلا باتفاق الجمهور عليه فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم وكان القس قد ركب بكرة ومعه الأساقفة وعالم كثير من النصارى ليقدّموه بالمعلقة بمصر، وذلك يوم الأحد، فركب الملك الكامل بشجو كبير من القلعة إلى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه، وأوقف ولاية القس، فبعث المسلطان في

[٩٦] عين لأول مرة في تاريخ المسيحية وفي تاريخ الكنيسة القبطية أسقفا لأورشليم مؤكدًا أنها مدينة الملك العظيم، وهي مِلك لجميع الكنائس، وكان أول مطران قبطي لأورشليم هو باسيليوس ويسمى مطران غزة كما يسمى مطران فلسطين وحدود العراق ومقره •أورشليم. كتب كتبًا كثيرة عن سر الاعتراف (أهمها كتاب اسمه "المعلم والتلميذ")، وترتيب الأصوام والأسرار الكنسية والمواريث. وبعد وفاة البابا كيرلس الثالث خلا الكرسي لمدة سبع سنوات ونصف لم يفكر أحد قط من عظماء الشعب أو العامة في سيامة البابا بسبب ما كان يلتزم به القبط من دفع رسم قدره ٣٠٠٠ دينارًا. وإذ تولى الملك عز الدين أيبك الجلسنلير التركماني بعد زواجه بالملكة شجرة الدر، قدم الأقباط هدية في حدود ٥٠٠ دينارًا، وانقطع ذكر الرسم المفروض من ذلك الحين.

طلب الأساقفة ليتحقق الأمر منهم، فوافقهم الرسل مع القس في الطريق، فأخذوهم ودخل القس إلى كنيسة بوجرج التي بالحمراء وبطلت بطركيته، وأقامت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يومًا.

ثم قدّم هذا القس بطركًا في يوم الأحد تاسع عشري شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، فأقام سبع سنين، وتسعة أشهر، وعشرة أيام، ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وستمائة، ودفن بدير الشمع بالجيزة وكان عالمًا بدينه، محبًا للرياسة، وأخذ الشرطونية في بطركيته، وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الأساقفة، فقدم جماعة أساقفة كثيرة بمال كثير أخذه منهم، وقاسى شدائد، ورافعه الراهب عماد المرشال ووكل عليه وعلى أقاربه وألزامه، وساعده الراهب السني بن الثعبان وأشاع مثالبه وقال: لا يصح له كُونية لأنه يقدّم بالرشوة وأخذ الشرطونية وجمع عليه طائفة كثيرة وعقد مجلسًا عند الصاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأثبت على البطرك قوادح، فقام الكتاب النصارى في أمره مع الصاحب بمال يحمله إلى السلطان، حتى استمر على بطركيته، وخلا كرسيّ البطاركة بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يومًا.

البابا أثناسيوس

أثناسيوس ابن القس أبي المكارم: ثم قدّم اليعاقبة اثناسيوس ابن القس أبي المكارم بن كليل[٩٧] بالمعلقة في يوم الأحد رابع شهر رجب،

[٩٧] عُملت القرعة فأسفرت عن القس بولس الراهب الأنطوني المعروف بابن كليل المصري، وكان قد حضر القس غبريال الراهب قريب بطرس أسقف طنبدي طامعًا في سيامته يعضده في ذلك أولاد العسال، لكن الشعب كان يرفضه. وقد قام الأنبا يوساب بدور هام في تثبيت سيامة القس بولس الراهب، واتفق أخيرًا الكل على سيامته. تمت سيامته في كنيسة السوتير (المخلص) حضرها أول وزير قبطي يُدعى شرف الدين أبي سعيد هبة الله بن صاعد النايزي.

سنة ثمان وأربعين وستمائة، وكمل بالإسكندرية فأقام إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يومًا، ومات يوم الأحد ثالث المحرّم سنة ستين وستمائة فخلت مصر من البطركية خمسة وثمانين يومًا.

وفي أيامه أخذ الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي الجوالي[98] من النصارى مضاعفة وفي أيامه ثارت عوامّ دمشق وخربت كنيسة مريم بدمشق بعد إحراقها ونهب ما فيها، وقتل جماعة من النصارى بدمشق، ونهْب دورهم وخرابها، في سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد وقعة عين جالوت، وهزيمة المغل.[99]

فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز[100] إلى دمشق، قرّر على النصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم جمعوها من بينهم، وحملوها إليه، بسفارة الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، أتابك العسكر[101].

قبل مبارحته الإسكندرية قام بتكريس عدة هياكل وسيامة عدد من الكهنة، ثم سافر إلى أديرة وادي النطرون كعادة البطاركة. اهتم بإصلاح حال الكهنة روحيًا، وألغى السيمونية (اقتناء الكهنوت بمال). وقد تعرض لتجارب قاسية إذ قتل عدد كبير من الأقباط في دمشق بعد موقعة عين جالوت وهزيمة المغول سنة ١٢٥٩ م .توفي في نوفمبر ١٢٦١ م.

[98] الجوالي = الجزية: جمع جالية، وهو المال الذي يؤخذ من أهل الذمة مقابل استمرارهم في بلاد الإسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها، وهي الجزية، وهي من أحل الحلال من الأموال، لذا جعلت منها أجور العلماء والمدرسين. والجالية لفظ أطلق على أهل الذمة لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب ثم لزم بهذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الجزية، وإن لم يجلوا عن أوطانهم.

[99] المغل أو المغول هم أعضاء تلك الجماعات الرعوية تقليدياً من منغوليا وفي خلال العصور الوسطى فتح المغول وحكموا الكثير من أو كل روسيا، أوكرانيا، إيران، العراق، تركيا، أفغانستان، آسيا الوسطى، الصين.

[100] الملك المظفر سيف الدين قطز هو ثاني سلاطين المماليك الأتراك، تولى الملك سنة ٦٥٧ هـ. يعتبر أبرز ملوك الدولة المملوكية على الرغم أن فترة حكمة لم تدم سوى عاما واحدا، لأنه استطاع أن يوقف زحف المغول الذي كاد أن يقضى على الدولة الإسلامية وهزمهم هزيمة منكرة في معركة عين جالوت، ولاحق فلولهم حتى حرر الشام. اسمه الحقيقي هو محمود بن ممدود أمير من أمراء الدولة الخوارزمية قبض عليه المغول إثر تحطيمهم الدولة

اضطهاد النصارى في عصر الملك المنصور قلاوون

وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة كانت واقعة النصارى ومن خبرها: أن الأمير سنجر الشجاعيّ كانت حرمته وافرة في أيام الملك المنصور قلاوون، فكان النصارى يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم، ولا يجسر نصرانيّ يحدّث مسلمًا وهو راكب، وإذا مشى فبذلة، ولا يقدر أحد منهم يلبس ثوبًا مصقولًا فلما مات الملك المنصور، وتسلطن من بعده ابنه الملك الأشرفُ خليل خدم الكتاب النصارى عند الأمراء الخاصكية،[١٠٢] وقوّوا نفوسهم على المسلمين، وترفعوا في ملابسهم وهيآتهم وكان منهم كاتب عند خاصكيّ يُعرف بعين الغزال فصدف يومًا في طريق مصر سمسار شونة مخدومه، فنزل السمسار عن دابته وقبَّل رجل الكاتب فأخذ يسبه ويهدّده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الأمير، وهو يترفق له ويعتذر! فلا يزيده ذلك عليه إلاّ غلظة! وأمر غلامه فنزل وكتف السمسار، ومضى به، والناس تجتمع عليه، حتى

الخوارزمية وباعوه في سوق النخاسة في بلاد الشام كعبد ذليل لكنه تميز عن غيره من العبيد بنخوة وأنفة صادرة من كونه تربى أميرا في القصور. ونظرا لشراسته في مواجهة آسريه المغول أطلقوا عليه اسم قطز وهو الكلب الشرس باللغة المغولية. أما كنيته سيف الدين فقد لقب به إثر اعتلاءه عرش المماليك في مصر. ولقبه الملك المظفر فقد ناله عن جدارة واستحقاق بعد تغلبه العظيم على التتار في معركة عين جالوت لتكون المعركة التي كسرت هجومهم الشرس الذي كاد يقضي على الدولة الإسلامية بكاملها.

[١٠١] الأتابك: أصله "أطابك" ومعناه: الولد الأمير. وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ هـ ولقبه بألقاب منها هذا، وقيل: أطابك، معناه أمير أب، والمراد: أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل. وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي، وغايته رفعة المحل وعلو المقام.

[١٠٢] الخاصكية: جماعة من حاشية السلطان يأتون في ترتيب النظام المملوكي بعد الأمراء المقدمين. كان عددهم في أول الأمر أربعة وعشرين ثم زادوا على الأربعمائة. وقد تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان في أوقات فراغه وفي خلواته بغير إذن، وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة، وامتازوا بحسن المظهر وأناقة الركوب والملبس.

صار إلى صليبة جامع أحمد بن طولون، ومعه عالم كبير، وما منهم إلاّ من يسأله أن يخلي عن السمسار، وهو يمتنع عليهم، فتكاثروا عليه وألقوه عن حماره وأطلقوا السمسار، وكان قد قرب من بيت أستاذه، فبعث غلامه لينجده بمن فيه فأتاه بطائفة من غلمان الأمير وأوجاقيته،[١٠٣] فخلصوه من الناس، وشرعوا في القبض عليهم ليفتكوا بهم، فصاحوا عليهم: ما يحل ومرّوا مسرعين إلى أن وقفوا تحت القلعة، واستغاثوا: نصر الله السلطان فأرسل يكشف الخبر، فعرّفوه ما كان من استطالة الكاتب النصرانيّ على السمسار، وما جرى لهم فطلب عين الغزال ورسم للعامّة بإحضار النصارى إليه وطلب الأمير بدر الدين بيدرا النائب، والأمير سنجر الشجاعيّ وتقدّم إليهما بإحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم، فما زالا به حتى استقرّ الحال على أن ينادي في القاهرة ومصر: أن لا يخدم أحد من النصارى، واليهود عند أمير، وأمر الأمراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الإسلام فمن امتنع من الإسلام ضربت عنقه، ومن أسلم استخدموه عندهم، ورسم للنائب بعرض جميع مباشري ديوان السلطان، ويفعل فيهم ذلك، فنزل الطلب لهم، وقد اختفوا، فصارت العامة تسبق إلى بيوتهم وتنهبها، حتى عمّ النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم، وأخرجوا نساءهم مسبيات، وقتلوا جماعة بأيديهم، فقام الأمير بيدرا النائب مع السلطان في أمر العامّة، وتلطف به حتى ركب وإلى القاهرة ونادى: من نهب بيت نصراني شنق، وقبض على طائفة من العامة وشهرهم، بعدما ضربهم، فانكفوا عن النهب، بعدما نهبوا كنيسة المعلقة[١٠٤] بمصر، وقتلوا منها جماعة.

---

[١٠٣] الأوشاقية (أو الأوجاقية): مفردها أو شاقي أو أوجاقى، وهي فرقة من خدم السلطان عملها ركوب الخيل للتسيير والرياضة.

[١٠٤] الكنيسة المعلقة، هي كنيسة العذراء مريم. وعرفت باسم المعلقة لأنها شيدت فوق برجين من حصن بابليون الروماني.

ضرب عنق النصارى

ثم جمع النائب كثيرًا من النصارى كتاب السلطان والأمراء، وأوقفهم بين يدي السلطان عن بعد منه، فرسم للشجاعيّ وأمير جاندار[١٠٥] أن يأخذا عدة معهما وينزلوا إلى سوق الخيل تحت القلعة، ويحفروا حفيرة كبيرة ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين، ويضرموا عليهم الحطب نارًا فتقدّم الأمير بيدرا وشفع فيهم، فأبى أن يقبل شفاعته وقال: ما أريد في دولتي ديوانًا نصرانيًا[١٠٦] فلم يزل به حتى سمح بأن من أسلم منهم يستقر في خدمته، ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم إلى دار النيابة وقال لهم: يا جماعة، ما وصلت قدرتي مع السلطان في أمركم إلاّ على شرط، وهو أن من اختار دينه قُتل، ومن اختار الإسلام خلع عليه وباشر، فابتدره المكين بن السقاعيّ أحد المستوفين، وقال: يا خوند[١٠٧] وأينا قوّاد يختار القتل على هذا الدين الخراء؟! واللّه دين نقتل ونموت عليه يروح، لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذي تختاروه حتى نروح إليه فغلب بيدرا الضحك وقال له: ويلك! أنحن نختار غير دين الإسلام؟!

---

[١٠٥] الجاندار: الأمير الذي يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامهم إلى الديوان.

[١٠٦] كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ﷺ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ بِالشَّامِ كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا لَا يَقُومُ خَرَاجُ الشَّامِ إِلَّا بِهِ" فَكَتَبَ إِلَيْهِ: "لَا تَسْتَعْمِلْهُ". فَكَتَبَ: "إِنَّهُ لَا غِنَى بِنَا عَنْهُ" فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ "لَا تَسْتَعْمِلْهُ" فَكَتَبَ إِلَيْهِ "إِذَا لَمْ نُوَلِّهُ ضَاعَ الْمَالُ" فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ﷺ "مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلَامُ". ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، القاهرة، ج ١، ص٢١١. وأخرج البيهقي في الكبرى ٢٠٤/٩، عن عياض عن أبي موسى. وفيه: وكان لأبي موسى كاتب نصراني، فرفع لعمر كتابته، فعجب عمر وقال: إن هذا لحافظ وقال: إن لنا كتاباً في المسجد – وكان نصراني قد جاء مع أبي موسى– فادعه فليقرأ. فقال أبو موسى: إنه لا يستطيع أن يدخل المسجد. فقال عمر: أجنب هو؟ قال، بل نصراني، قال: فانتهرني عمر وضرب فخذي وقال أخرجه ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة المائدة ٥١.

[١٠٧] خوند: لقب يفيد معنى الاحترام، ويخاطب به الذكور والإناث سواء، (سيد ، سيدة).

فقال: يا خوند، ما نعرف، قولـوا ونحـن نتـبعكم، فأحضـر العـدول واستسلمهم، وكتب بذلك شهادات عليهم، ودخل بهـا علـى السلطان، فألبسهم تشاريف، وخرجوا إلى مجلس الوزير الصاحب شـمس الـدين محمد بن السلعوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعي، وناولـه ورقة ليكتب عليها، وقال: يا مولانا القاضي، اكتب على هذه الورقة؟.

فقال: يا بنيّ، ما كان لنا هذا القضاء في خلد! فلـم يزالـوا فـي مجلس الوزير إلى العصر، فجاءهم الحاجب وأخذهم إلى مجلس النائب، وقد جمع به القضاة، فجدّدوا إسلامهم بحضرتهم، فصار الـذليل مـنهم بإظهار الإسلام عزيزًا، يبدي من إذلال المسلمين والتسلط عليهم بـالظلم ما كان يمنعه نصرانيته من إظهاره، وما هو إلا كما كتب به بعضهم إلى الأمير بيدرا النائب:

أسلمَ الكافرونَ بالسيفِ قهرًا	وإذا ما خلوا فهُم مُجرمونا
سلِموا مِن رواحِ مالٍ وروحٍ	فهم سالِمون لا مُسلمونـا[108]

[108] قال الحافظ ابن كثير: (شيخ الملك الظاهر بيبرس كان حظياً عنده مكرماً لديه، لـه عنـده المكانة الرفيعة، كان السلطان ينـزل بنفسه إلى زاويته التي بناها له في الحسـينية فـي كـل أسبوع مرة أو مرتين، وبني له عندها جامعاً يخطب فيه للجمعة، وكان يعطيـه مـالاً كثيـراً ويطلق له ما أراد، ووقف على زاويته شيئاً كثيراً جداً، وكان معظماً عند الخاص والعام بسبب حب السلطان وتعظيمه له، وكان يمازحه إذا جلس عنده، وكان فيه خير ودين وصلاح، وقـد كاشف السلطان بأشياء كثيرة ... ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشـياء أنكـرت عليـه وحوقق عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منه ما أوجب سـجنه ثـم أمـر بإعدامـه وهلاكه). البداية والنهاية ١٣ــ٢٦٥ فقد أعتقد الظاهر بيبرس في أن الشيخ الصـوفي خضـر العدوى شخص مبروك .. ولكنه كان مشهوراً بانحلاله الخلقي وشذوذه الجنسي وتعصبه ضـد النصارى في الشام ومصر، ولما ترك له الظاهر بيبرس له المجال وأطلق لتعصـبه العنـان فهدم كثيراً من الكنائس في الشام ومصر ، ومن الكنائس التي هدمها بمصـر كنيسـة الـروم بالإسكندرية التي يشاع أن فيها رأس النبي يحيى عليه السلام (يوحنا)، وقد تحولت علـى يـد الشيخ خضر العدوى إلى مسجد وسماه (المدرسة الخضراء) وأنفق في تعمير هـذه المدرسـة الأموال الكثيرة من بيت المال.

وفي أخريات شهر رجب سنة سبعمائة قدم وزير متملك المغرب إلى القاهرة حاجًا، وصار يركب إلى الموكب السلطانيّ، وبيوت الأمراء فبينما هو ذات يوم بسوق الخيل تحت القلعة إذا هو برجل راكب على فرس، وعليه عمامة بيضاء، وفرجية مصقولة، وجماعة يمشون في ركابه، وهم يسألونه ويتضرّعون إليه ويقبلون رجليه، وهو معرض عنهم وينهرهم، ويصيح بغلمانه أن يطردوهم عنه!.

فقال له بعضهم: يا مولاي الشيخ، بحياة ولدك النشو تنظر في حالنا، فلم يزده ذلك إلاّ عتوًّا وتحامقًا، فرقّ المغربيّ لهم، وهمّ بمخاطبته في أمرهم فقيل له: وأنه مع ذلك نصراني! فغضب لذلك وكاد أن يبطش به، ثم كف عنه، وطلع إلى القلعة، وجلس مع الأمير سلار[١٠٩] نائب السلطان، والأمير بيبرس الجاشنكير[١١٠] وأخذ يحادثهم بما رآه وهو يبكي رحمة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى! ثم وعظ الأمراء وحذرهم نقمة الله وتسليط عدوّهم عليهم، من تمكين النصارى من ركوب الخيل، وتسلطهم على المسلمين، وإذلالهم إياهم، وأن الواجب إلزامهم الصَغار، وحملهم على العهد الذي كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فمالوا إلى قوله، وطلبوا بطرك النصارى وكبراءهم، وديان اليهود، فجمعت نصارى كنيسة المعلقة، ونصارى دير البغل ونحوهم، وحضر كبراء اليهود والنصارى، وقد حضر القضاة الأربعة، وناظروا النصارى واليهود، فأذعنوا إلى التزام العهد العمريّ، وألزم بطرك النصارى طائفته النصارى بلبس العمائم الزرق، وشد الزنار في أوساطهم، ومنعهم

[١٠٩] سالار: الآمر الأعلى أو الرئيس، وهو اسم أمير من المماليك قتله المنصور محمد بن قلاوون.

[١١٠] الجاشنكيرية: وظيفة، موضوعها التحدث في أمر السماط مع الاستدار، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدمين ويقوم الجاشنكير بذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم أو نحوه.

من ركوب الخيل والبغال[111] والتزام الصغار، وحرّم عليهم مخالفة ذلك، أو شيء منه، وأنه بريء من النصرانية إن خالف.

ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكلمة على من خالف من اليهود ما شرط عليه من لبس العمائم الصفر، والتزام العهد العمريّ،[112] وكتب

---

[111] ينتمي إلى فصيلة الخيول وهو هجين من ذكر الحمار وأنثى الفرس، وهذا النوع من التزاوج هو الأكثر شيوعاً. وأنثى البغل تكون عقيمة حيث لا يحدث عندها عملية التكاثر أو التناسل. أما الأقل شيوعاً في عملية التزاوج هي التي تتم بين أنثى الحمار وذكر الفرس والذي يسمى بـ"النغل" وليس البغل. ينتمي إلى فصيلة الخيول وهو هجين من ذكر الحمار وأنثى الفرس، وهذا النوع من التزاوج هو الأكثر شيوعاً. وأنثى البغل تكون عقيمة حيث لا يحدث عندها عملية التكاثر أو التناسل. أما الأقل شيوعاً في عملية التزاوج هي التي تتم بين أنثى الحمار وذكر الفرس والذي يسمى بـ"النغل" وليس البغل.

[112] ذكر الإمام ابن القيم الشروط العمرية في كتابه أحكام أهل الذمة، وعزاها لعدد من المصادر: أولها مسند الإمام أحمد، فقد روى ابنه عبد الله في زوائده على المسند، فقال: حدثني أبو شرحبيل الحمصي حدثني (عمي) أبو اليمان وأبو المغيرة قالا: أخبرنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا :كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم: "إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا، وأهل ملتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا: ألا نحدث في مدينتنا كنيسة، ولا فيما حولها ديراً، ولا قلاّية (بناء كالدير)، ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا، ولا ما كان منها في خطط المسلمين، وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، وألا نكتم غشا للمسلمين، وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضرباً خفيفاً في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليباً، ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألا نخرج صليبا ولا كتاباً في سوق المسلمين، وألا نخرج باعوثاً – والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر – ولا شعانين (عيد للنصارى)، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وألا نجاورهم بالخنازير، ولا نبيع الخمور، ولا نظهر شركاً، ولا نرغب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً، ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين، وألا نمنع أحداً من أقربائنا أراد الدخول في الإسلام، وأن نلزم زينا حيثما كنا، وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجزّ مقادم رؤوسنا، ولا نفرق نواصينا، ونشدُّ الزنانير على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نركب السروج، ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق، ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس، ولا نطلع عليهم

بذلك عدّة نسخ سيرت إلى الأعمال فقام المغربيّ في هدم الكنائس فلم يمكنه قاضي القضاة تقيّ الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك، وكتب خطه بأنه لا يجوز أن يهدم من الكنائس إلاّ ما استجد بناؤه، فغلقت عدّة كنائس بالقاهرة ومصر، مدّة أيام فسعى بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها، فثارت العامة ووقفوا للنائب والأمراء، واستغاثوا بأن النصارى قد فتحوا الكنائس بغير إذن، وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمائم الزرق، واحتمى كثير منهم بالأمراء، فنودي في القاهرة ومصر: أن يلبس النصارى بأجمعهم العمائم الزرق ويلبس اليهود بأسرهم العمائم الصفر ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحُلّ دمه، ومنعوا جميعًا من الخدمة في ديوان السلطان، ودواوين الأمراء، حتى يُسلموا، فتسلطت الغوغاء عليهم وتتبعوهم، لمن رأوه بغْير الزيّ الذي رسم به ضربوه بالنعال وصفعوا عنقه، حتى يكاد يهلك، ومن مرّ بهم وقد ركب ولا يثني رجله ألقوه عن دابته وأوجعوه ضربًا، فاختفي كثير منهم، وألجأت الضرورة عدة من أعيانهم إلى إظهار الإسلام أنفة من لبس الأزرق، وركوب الحمير، وقد أكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زيّ أهل الذمّة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعي:

لقد ألزمَ الكُفارُ شاشاتَ ذلة ... تزيدُهُم من لعنةِ اللّهِ تشويشا

فقلتُ لهم: ما ألبسوكُم عمائمًا ... ولكنهم قد ألزموكُم براطيشا

في مجالسهم، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا يشارك أحد منا في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيامٍ، ونطعمه من أوسط ما نجد. ضمنّا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيّرنا أو خالفنا عمّا شرطنا على أنفسنا، وقبلنا الأمان عليه، فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق. فكتب بذلك عبد الرحمن بن غنم إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب إليه عمر: أن أمض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفينِ أشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم: ألا يشتروا من سبايانا شيئاً، ومن ضرب مسلماً عمداً فقد خلع عهده. فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك، وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط."

وقال شمس الدين الطيبي:

تعجبوا للنصارى واليهود معًا والسامريينَ لما عُمموا الخرقــا

كأنما باتَ بالأصباغِ منسهلًا نسرُ السماء فأضحى فوقهم زرَقا

فبعث ملك برشلونة[113] في سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته، عمّ بها جميع أرباب الوظائف من الأمراء، مع ما خص به السلطان، وكتب يسأل في فتح الكنائس، فاتفق الرأي على فتح كنيسة حارة زويلة لليعاقبة، وفتح كنيسة البندقانيين من القاهرة ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر، سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، هدمت كنائس أرض مصر في ساعة واحدة كما ذكر في أخبار كنيسة الزهريّ[114] وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة رسم بتحرير ما هو موقوف على الكنائس من أراضي مصر، فأناف على خمسة وعشرين ألف فدان وسبب الفحص عن ذلك: كثرة تعاظم النصارى وتعدّيهم في الشرّ، والإضرار بالمسلمين، لتمكنهم من أمراء الدولة، وتفاخرهم بالملابس الجليلة، والمغالاة في أثمانها، والتبسط في المآكل والمشارب،

---

[113] برشلونة (بالأسبانية والكاتالانية *Barcelona*) تقع في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة أيبيريا على شاطئ البحر المتوسط بين مصبي نهري لوبريجات وبيزيوس. تعد ثاني أكبر مدن أسبانيا بعد مدريد وعاصمة منطقة كاتالونيا ومحافظة برشلونة. تقول بعض الأساطير أن هاملسار بارسا والد هنيبعل أسس مدينة بارسينو في المكان الذي توجد فيه برشلونة اليوم. في القرن الخامس عشر قبل الميلاد اتخذ الرومان من المنطقة حصنا أو مخيما لجيوش الدولة. في أوائل القرن الخامس الميلادي احتلت المنطقة من قبل القوط الغربيين ثم فتحها المسلمون في القرن الثامن الميلادي إلا إن لويس بن شارلمان استطاع أن يستولي على المدينة عام ٨٠١ م وبقيت برشلونة تحت الحكم المسيحي حتى عام ٩٨٥ م عندما استعادها أبو عامر المنصور أحد أقوى حكام الأندلس المسلمين. حكام برشلونة بعد الفترة الإسلامية عملوا على توسيع كونتية برشلونة باحتلال المناطق المجاورة كجزر الباليار ومدينة فالنسيا وأسسوا ما عرف بمملكة أراجون والتي سيطرت على أجزاء واسعة من البحر المتوسط خلال القرن الثالث عشر الميلادي.

[114] كنيسة الزهري: كانت في الموضع الذي فيه اليوم البركة الناصرية، بالقرب من قناطر السباع، في برّ الخليج الغربي، غربيّ اللوق.

وخروجهم عن الحدّ في الجراءة والسلاطة. إلى أن اتفق مرور بعض كتاب النصارى على الجامع الأزهر من القاهرة، وهو راكب بخف ومهماز، وبقباء إسكندريّ طرح على رأسه وقدامه طرّادون يمنعون الناس من مزاحمته، وخلفه عدّة عبيد بثياب سرية على أكاديش[115] فارهة، فشق ذلك على جماعة من المسلمين، وثاروا به وأنزلوا عن فرسه، وقصدوا قتله، وقد اجتمع عالم كبير، ثم خلوا عنه وتحدّث جماعة مع الأمير طاز في أمر النصارى وما هم عليه، فوعدهم بالإنصاف منهم، فرفعوا قصة على لسان المسلمين، قرئت على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة، تتضمن الشكوى من النصارى، وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بما عليهم من الشروط، فرسم بطلب بطرك النصارى، وأعيان أهل ملتهم، وبطلب رئيس اليهود وأعيانهم وحضر القضاة والأمراء بين يدي السلطان، وقرأ القاضي علاء الدين عليّ بن فضل الله كاتب السرّ العهد الذي كتب بين المسلمين وبين أهل الذمّة، وقد أحضروه معهم حتى فرغ منه فالتزم من حضر منهم بما فيه وأقرّوا به، فعدّدت لهم أفعالهم التي جاهروا بها وهم عليها، وأنهم لا يرجعون عنها غير قليل ثم يعودون إليها. كما فعلوه غير مرّة فيما سلف، فاستقرّ الحال على أن يمنعوا من المباشرة بشيء من ديوان السلطان، ودواوين الأمراء، ولو أظهروا الإسلام، وأن لا يُكره أحد منهم على إظهار الإسلام ويُكتب بذلك إلى الأعمال.

اختفاء النصارى من الطرقات

فتسلطت العامّة عليهم، وتتبعوا آثارهم، وأخذوهم في الطرقات، وقطعوا ما عليهم من الثياب، وأوجعوهم ضربًا، ولم يتركوهم حتى

---

[115] أكديش: وجمعها أكاديش، الرجل الخليط الذي لا ينتسب إلى أصل واحد، والحصان غير الأصيل المستخدم في حمل الأثقال.

يُسلموا، وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها، فاختفوا في بيوتهم، ولم يتجاسروا على المشي بين الناس، فنودي بالمنع من التعرض لأذاهم، فأخذت العامّة في تتبع عوراتهم وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموه، واشتدّ الأمر على النصارى باختفائهم حتى أنهم فقدوا من الطرقات مدّة! فلم ير منهم ولا من اليهود أحد.

تخريب الكنائس ونهبها

فرفع المسلمون قصة قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب تتضمن أن النصارى قد استجدّوا عمارات في كنائسهم ووسعوها، هذا وقد اجتمع بالقلعة عالم عظيم واستغاثوا بالسلطان من النصارى، فرسم بركوب والي القاهرة وكشفه على ذلك، فلم تتمهل العامّة ومرّت بسرعة فخرّبت:

١- كنيسة بجوار قناطر السباع.

٢- وكنيسة بطريق مصر للأسرى.

٣- وكنيسة الفهادين بالجوّانية من القاهرة.

٤- ودير نهيا من الجيزة.

٥- وكنيسة بناحية بولاق التكروري.[١١٦]

ونهبوا حواصل ما خرّبوه من ذلك، وكانت كثيرة، وأخذوا أخشابها ورخامها، وهجموا كنائس مصر والقاهرة، ولم يبق إلاّ أن يخرّبوا كنيسة البندقانيين بالقاهرة، فركب الوالي ومنعهم منها واشتدت العامة وعجز الحكام عن كفهم.

عدم الاحتياج إلى النصارى

وكان قد كُتِبَ إلى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لا يُستخدَم

---

[١١٦] بولاق الدكرور.

يهوديّ ولا نصراني ولو أسلم، وأنه من أسلم منهم لا يمكن من العبور إلى بيته، ولا من معاشرة أهله إلاّ أن يُسلموا، وأن يُلزم من أسلم منهم بملازمة المساجد والجوامع، لشهود الصلوات الخمس والجمع وأنّ من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته إن كان له وارث، وإلاّ فهي لبيت المال، وكان يلي ذلك البطرك، وكتب بذلك مرسوم قرئ على الأمراء، ثم نزل به الحاجب فقرأه في يوم الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصر فكان يومًا مشهودًا

ثم أحضر في أخريات شهر رجب من كنيسة شبرا بعدما هدمت إصبع الشهيد الذي كان يُلقى في النيل حتى يزيد بزعمهم، وهو في صندوق فأحرق بين يدي السلطان بالميدان من قلعة الجبل، وذرى رماده في البحر خشية من أخذ النصارى له.

دماء النصارى والمسلمين

فقدمت الأخبار بكثرة دخول النصارى من أهل الصعيد والوجه البحريّ في الإسلام وتعلمهم القرآن،[١١٧] وإن أكثر كنائس الصعيد هُدمت وبُنيت مساجد، وأنه أسلم بمدينة قليوب في يوم واحد أربعمائة وخمسون نصرانيًا، وكذلك بعامة الأرياف مكرًا منهم وخديعة حتى يُستخدموا في المباشرات، وينكحوا المسلمات، فتم لهم مرادهم، واختلطت بذلك الأنساب، حتى صار أكثر الناس من أولادهم، ولا يُخفي أمرهم على من نوّر الله قلبه، فإنه يُظهر من آثارهم القبيحة إذا تمكنوا من الإسلام وأهل ما يَعرف به الفطن سوء أصلهم، وقديم معاداة أسلافهم للدين وحملته!!.

---

[١١٧] ق ر أ القَرْءُ بالفتح الحيض وجمعه أَقْراءٌ كأفراخ و قُرُوءٌ كفلوس وأَقْرُؤٌ كأفلس والقَرْءُ أيضاً الطهر وهو من الأضداد وقرأ الكتاب قِراءَةً قُرْءانا بالضم و قَرَأَ لا شيء قُرْآنا بالضم أيضا جمعه وضمه ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها وقوله تعالى إن علينا جمعه وقراءنه أي قراءته. أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: كتاب المصاحف، تحقيق دكتور جمال محمد أبو زيد، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٦م،ص ٧.

الفهرس

قال معاوية بن أبي سفيان:

وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف :

فثلث ناس وثلث يشبه الناس وثلث لا ناس .

فأما الثلث الذين هم الناس : فالعرب

والثلث الذين يشبهون الناس : فالموالي

والثلث الذين لا ناس : المسالمة يعني القبط .



